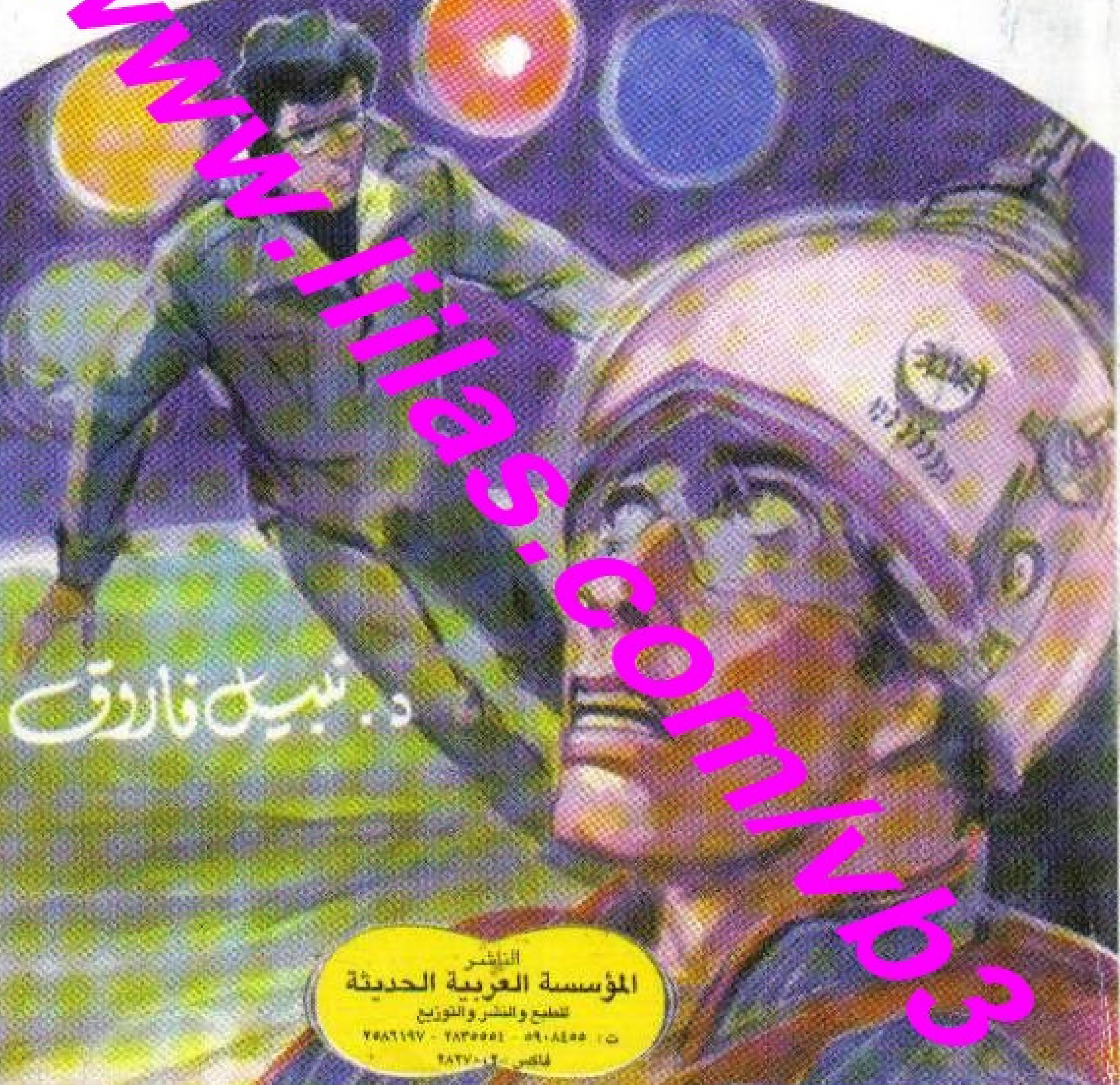
روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

129

وراء العقل



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٣٧٠٠٢

وراء العقل

- ماسر ذلك الكابوس ، الذى يهاجم (رمزى) يوميا بلارحمة ؟!
- أية تجربة تلك ، التى سيتعرض لها (نور) ورفاقه ، على شاطئ البحر ؟!
- ترى هل يعود (محمود) إلى الفريق ، أم تنهار كل الحواجز (وراء العقل) ؟!
- اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل ..



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

129



العدد القادم : القوة

١ ـ اتصـــال ..

هدوء عجيب خيم على تلك الصحراء ، التى بدت وكأنها تمتدّ إلى ما لا نهاية ، أمام عينى (رمزى) ، الخبير النفسى فى فريق (نور) ، الذى راح يسير فوق رمالها ، فى حيرة وتوتر بلا حدود ..

لم تكن رمالاً صفراء عادية ، كتلك التى نراها فى أية صحراء ..

بل ولم تكنْ حتى بيضاء أو رمادية ..

كانت رمالاً خضراء ..

خضراء لامعة ، وكأنها حبيبات من الزمرد(★) أمطرتها السماء فى ليلة عاصفة ..

(★) الزمرد : حجر كريم ، أخضر اللون ، يوجد فى صخور الرخام والشست الميكائى ، وأشهر مناجمه فى جنوب (مصر) ، حيث كشفه قدماء المصريين ، واستغلوه استغلالاً كبيرًا ، ثم اختفى لفترة طويلة ، قبل أن يعاد كشفه فى العصور الحديثة ، والزمرد يستخرج أيضًا فى (كولومبيا) ، و(الأكوادور) ، و(بيرو) فى (أمريكا الجنوبية) .

وكانت باردة ..
باردة كالثلج ..
ومن بعيد ، كانت تشرق أربع شموس ..
بأربعة ألوان مختلفة ..
شمس زرقاء ..
وأخرى أرجوانية ..
وثالثة صفراء كبيرة ..
ورابعة رمادية صغيرة ..
وبكل الحذر ، خطا (رمزى) فوق الرمال الباردة ..
لم يكن يدرى أين يذهب ، وإلى أين تقوده خطاه ..
ولكنه سار ..
وسار ..
وسار ..

شىء ما فى أعماقه ، كان يدفعه إلى السير نحو هدف ما ..
هدف مجهول ، لا يبدو أمام عينيه ..
حتى الأفق ..

ثم فجأة ، التقطت أذناه ذلك الصوت ..
صوت خافت يأتى من مكان ما حوله ..
أو من كل مكان حوله !!
صوت أشبه باللهاث ..
أو بشخص يتنهّد فى حرارة ..
وتوقّف (رمزى) ..
توقّف وقلبه يخفق فى قوة وعنف ..
وبصوت ارتجفت نبراته ، هتف :
ـ من هناك ؟!

لم يكن يدرى ما يمكن أن تعنيه كلمة (هناك) فى مكان كهذا ، ولكنه هتف بأوّل عبارة قفزت إلى ذهنه ..
ثم انتظر الجواب ..
ولثوان ، بدت كالدهر ، لم يتلقّ جوابًا واضحًا ..
فقط صوت التنهيد واللهاث ..
ثم بدا صوت آخر ..
صوت شخص يتحدّث بكلمات خافتة ..
خافتة للغاية ..

وأرهف (رمزى) سمعه ..
وأنصت ..
وأنصت ..
وأنصت ..
« إنه أنا يا (رمزى) .. »
ميَّز العبارة فجأة ..
وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يهتف :
ـ (محمود) .. أهو أنت ؟!
أتاه صوت زميله وصديقه القديم ، وهو يجيب :
ـ نعم .. هو أنا(*) .
صرخ (رمزى) ، بكل لهفة الدنيا :
ـ أين أنت يا (محمود) ؟! أين أنت يا صديقى ؟!
جاء الجواب خافتًا مقتضبًا إلى حد مخيف :
ـ هنا .
هتف (رمزى) :
ـ أين يا (محمود) ؟! أين ؟! ما هذا المكان ؟! أين نحن بالضبط ؟! أين ؟

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

أجاب الصوت بعبارة ما ..
عبارة شديدة الخفوت ، حتى إن (رمزى) لم يمكنه تمييزها قط ..
وابتعد الصوت ..
وابتعد ..
وابتعد ..
وصاح (رمزى) فى هلع :
ـ لا تبتعد يا (محمود) .. عد .. عد يا (محمود) .. عد ..
« (رمزى) .. استيقظ .. »
انتفض جسده فى عنف ، وهو يفتح عينيه فى ارتياع ، ويحدِّق فى وجه زوجته (نشوى) ، التى ربَّتت على وجهه فى حنان ، وهى تسأله مشفقة :
ـ أهو الكابوس نفسه ؟!
كان وجهه يتصبَّب عرقًا فى غزارة ، وهو ينهض جالسًا على طرف الفراش ، ويومئ برأسه إيجابًا ، فسألته فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـ هل تشعر بالعطش كالمعتاد ؟!
أومأ برأسه مرة أخرى ، وهو يغمغم :
ـ وكأنى أعود من صحراء حقيقية .

أسرعت تحضر له كوبًا من الماء ، فجرعه فى لهفة ، ولهث كمن يعدو لألف كيلومتر دفعة واحدة ، قبل أن يتمتم :

ـ كم أشعر بحزن بلا حدود ، كلما هاجمنى ذلك الكابوس البشع .

هزَّت رأسها ، قائلة فى تعاطف :

ـ ربما يرفض عقلك الاقتناع بأن (محمود) لم يعد هنا .. بيننا .

قال فى توتر :
ـ ولكنه لم يمت أيضًا .
قالت فى حزن :
ـ ومن أدراك ؟!
أجاب فى سرعة :
ـ هو أخبرنا بنفسه .

ثم التفت إليها ، مستطردًا فى انفعال :
ـ أنسيت تلك المغامرة هناك ، فى كوكب الطغاة(*) ؟! (نور) قال : إن (محمود) أنقذ الجميع ، عندما اتصل به من عالم آخر .. عالم ألقاه إليه نهر الزمن .
ترددت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ (رمزى) .. كلنا أشد منك رغبة فى أن نستعيد (محمود) ، ولكن كل شىء بيد اللّه (سبحانه وتعالى) .. ربما كان (محمود) حيًّا ، عندما حدث ما حدث ، على كوكب الطغاة ، ولكن من يدرى كيف هو الآن ؟!

قال فى حزم عصبى :
ـ إنه حى يا (نشوى) .. حى .. أنا أشعر بهذا .
هزَّت كتفيها فى حذر ، قائلة :
ـ الرغبة وحدها لا تكفى لـ ..
قاطعها فى انفعال :
ـ وماذا لو أن هذا ليس كابوسًا ؟!

(*) راجع قصة (كوكب الطغاة) .. المغامرة رقم (١١١) .

تطلّعت إليه فى دهشة ، مغمغمة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب بانفعال أكثر :

ـ أعنى أنه ربما يكون ما أراه هو محاولة .. محاولة اتصال من عالم آخر .

ثم مال نحوها ، مستعيدًا حزمه الكامل ، وهو يضيف :

ـ العالم الذى يسجن (محمود) بين جدرانه .

واتسعت عيناها فى ارتياع ..

فالاحتمال كان واردًا بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« إننى أوافقك على هذا يا (رمزى) .. »

نطقت (سلوى) العبارة فى حماسة ، وهى تمسك بطنها ، الذى تكوّر مع أشهر حملها الأخيرة ، ولوّحت بيدها الأخرى ، متابعة :

ـ ربما كانت محاولة من (محمود) ، للاتصال بك عقليًا ، من العالم الذى انتقل إليه ، بعدما أصابه فى نهر الزمن .

انعقد حاجبا (نور) دون تعليق ، وارتسم الشكّ على وجه (أكرم) ، فى حين تساءل (رمزى) فى حيرة متوترة :

ـ ولماذا أنا ؟! لماذا لم يحاول الاتصال بـ (نور) مثلاً ، كما فعل فى المرة السابقة ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً فى هدوء :

ـ للعقل البشرى عجائبه يا صديقى ، ولا أحد يمكنه تفسير ما يفعله ، فى كثير من الأحيان ، وبخاصة عندما يتعلّق الأمر بأمور تتجاوز الحدود الطبيعية المألوفة .

سألته (سلوى) ، فى حماسة :

ـ أتعنى أنك تصدّق ما حدث ؟!

أجاب بنفس الهدوء :

ـ إننى أصدق أن (رمزى) قد مرّ بالتجربة عدة مرات ، ولكننى لم أقرّ بعد ، ما إذا كانت محاولة اتصال بالفعل ، أم أنها انعكاس لفكرة غارقة فى العقل الباطن ، تسعى للظهور ، من خلال عالم الأحلام .

بدا التردُّد على وجه (رمزى) ، وهو يقول :
- هذا احتمال وارد أيضًا .
مطَّ (أكرم) شفتيه ، وقال :
- بل هو الاحتمال المنطقى بالنسبة لى .
أجابته (نشوى) فى حزم :
- ربما كان كذلك ، ولكننا لا نستطيع إهمال الاحتمال الآخر ، فلو أنها محاولة اتصال من عالم آخر ، فهذا يعنى أن (محمود) بحاجة إلينا ، ولا يمكننا أن نتجاهل هذا أبدًا .
انعقد حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :
- بالتأكيد .
قلب (أكرم) كفيه ، قائلاً فى عصبية :
- وحتى لو أنها كذلك .. ما الذى يمكننا أن نفعله ؟!
أجابته (سلوى) فى حماسة :
- أن نعمل على تقوية الاتصال .
هتف محتدًا :
- إنه ليس اتصالاً على واحدة من موجات اللاسلكى ، حتى يمكنك استقباله وتقويته يا (سلوى) .

هزّت كتفيها ، قائلة :
- لكل شىء وسائله .
غمغم (رمزى) فى توتر :
- هذا صحيح .
رفع (نور) عينيه إليه ، وتأمّله بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يعتدل فى مجلسه ، ويسأله فى اهتمام :
- ما الذى تقترحه ؟!
أطلق (رمزى) زفرة عصبية ، قبل أن يجيب :
- الدكتور (رائف عبيد) .
التفتت إليه العيون كلها فى تساؤل ، فتابع فى سرعة :
- إنه أحد العلماء المعروفين ، فى مجال أبحاث العقل ، وله العديد من الدراسات ، حول القدرة على التخاطر ، والاتصال الذهنى البعيد ، وتحريك الأشياء عن بعد ، وغيرها من القدرات العقلية الفائقة .
قال (أكرم) فى حيرة :
- وكيف لم نسمع عنه قط ؟!
أجابه (رمزى) بنفس توتره :

ـ ربما لأنك لا تهتمَ كثيرًا بهذا المجال .. أو لأن الرجل لا يميل للدعاية ووسائل الإعلام .. أو لأنه منعزل تقريبًا عن العالم ، ومستغرق فى تجاربه وحدها .

همَّ (أكرم) بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ وما الذى تتوقَّع أن يفعله الدكتور (رائف) هذا ؟!

هزَّ رأسه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .

ارتسمت خيبة الأمل على وجه (أكرم) ، فاستدرك فى سرعة :

ـ ولكن لو أنه عجز عن مساعدتنا ، فسيعنى هذا أنه لا توجد وسيلة واحدة لهذا ، فى العالم أجمع .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، ثم عاد (نور) يتراجع فى مقعده ، وهو يقول :

ـ هذا يحسم الأمر إذن .

ثم لوَّح بيده ، مستطردًا :

ـ سنتجه بالأمر كله إلى الدكتور (رائف) .

تردَّد (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ أخشى أن هذا لن يكون سهلاً .

سألته (سلوى) :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجاب فى توتر :

ـ أخبرتكم أن الرجل مستغرق تمامًا فى أبحاثه وتجاربه ، وربما يرفض إضاعة وقته من أجل هذا .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ لو أنه عالم حقيقى فلن يفعلها .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :

ـ أخبرنى أين يقيم الدكتور (رائف عبيد) هذا ، وسأتولَّى بنفسى عملية إقناعه .

قال (رمزى) :

ـ هذه مشكلة أخرى .

سألته (نشوى) فى حيرة :

ـ أية مشكلة ؟!

أجاب فى سرعة :

- الدكتور (رائف) يقيم وحده ، مع مساعده وحارسه الخاص ، فى فيلا صغيرة فى (الإسكندرية) ، داخل أرض مساحتها ألفا متر مربَّع ، ورثها عن عائلته ، وأحاطها بسور مكهرب ، ارتفاعه ستة أمتار ، حتى يمنع الفضوليين والصحفيين والمتطفلين ، واللصوص أيضًا من الاقتراب منه .. والفيلا مقامة فى منتصف قطعة الأرض تمامًا ، وكأنها جزيرة منعزلة وسط المحيط ، وفيها معمله وأجهزته ، وكل ما يحتاج إليه فى عمله وتجاربه الخاصة جدًّا .

ارتفع حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

- هذا يبدو لى أشبه بمشهد مخيف ، من أحد أفلام الرعب ، التى تروى قصة عالم مجنون ، يتحوَّل إلى سفاح رهيب ، يغرق فى دماء ضحاياه ، منذ بداية الفيلم ، وحتى كلمة النهاية .

ارتسمت ابتسامة متوترة ، على شفتى (رمزى) ، وهو يقول :

- يا له من خيال خصب !

غمغم (أكرم) :

- كل النساء يتمتّعن به .

ابتسم (نور) ، وهو ينقل بصره بين زوجته وابنته ، وكأنما يرى رد فعلهما ، قبل أن يقول فى حزم :

- فليكن .. سنذهب أنت و(أكرم) وأنا إليه ، ونحاول إقناعه بقبول مساعدتنا .

قالت (نشوى) معترضة :

- وماذا عنا ؟!

أجابها فى حزم :

- (سلوى) لايمكنها بذل أى جهد ، فى أيام حملها الأخيرة هذه ، وأنت مضطرة للبقاء ؛ لرعاية (محمود) الصغير .

مطّت شفتيها ، وكأنما لا يروق لها أن تبقى ، فى حين غمغمت (سلوى) فى توتر ، لم تدر هى نفسها سببه :

- انتبهوا لأنفسكم جيدًا ، ولا داعى للمجازفة .

قهقه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ المجازفة ؟! أية مجازفة ؟! ما الذى يمكن أن يحدث ، فى مكان كهذا ؟!

لم يجب أحدهم تساؤله ، الذى بدا وكأنما لا ينتظر أية أجوبة ..

ولكن السؤال تكرَّر بلا وعى ، فى أذهان الجميع ..

تُرى أى شىء يمكن أن يحدث هناك ؟!

أى شىء ؟!

* * *



٢ ـ مطلق العقول ..

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة حقيقية ، وسيارة (نور) تنحدر ، عبر ذلك الطريق المرتفع ، نحو المنطقة المهجورة ، التى أقام فيها الدكتور (رائف عبيد) فيلته ..

كان المشهد بديعًا بكل المقاييس ، وأنت تهبط من المرتفع ، نحو قطعة الأرض الواسعة ، التى تطلّ على البحر مباشرة ، والتى أحيطت بسور مرتفع أنيق المظهر ، وتوسطتها تلك الفيلا الصغيرة ، ذات اللون الأبيض ، الذى صنع مع الرمال الصفراء ، والبحر الفيروزى الهادئ صورة أجمل من أن توصف ، حتى إن (أكرم) هتف فى حماسة :

ـ ربَّاه ! هذه البقعة تصلح لإقامة قرية سياحية رائعة .

أومأ (رمزى) برأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، وخاصة أنها مقامة على لسان داخل البحر ، بحيث تحظى بخصوصية مدهشة ، يسيل لها اللعاب .. والواقع أن الدكتور (رأفت) قد تلقّى عشرات العروض ، بمبالغ ذات ستة أصفار ، لبيع الفيلا وقطعة الأرض ، ولكنه كان يرفض مجرّد مناقشة الفكرة .

غمغم (نور) ، وهو يتجه نحو المكان :

ـ لو أننى فى موضعه لفعلت المثل .. ليس من السهل أن يتخلّى المرء عن تحفة كهذه .

وافقه (رمزى) بإيماءة أخرى من رأسه ، وقال :

ـ خاصة وأنها تحقّق له الخصوصية التى ينشدها .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (رمزى) : لماذا يحتاج رجل مثله إلى الخصوصية البالغة هذه ؟!

أعنى أنه يجرى تجاربه على العقول البشرية .. ألا يدعوه هذا إلى الاختلاط بالناس والتعامل معهم ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لكل أسلوبه .

مطّ (أكرم) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا للعلماء !

ابتسم (رمزى) دون تعليق ، فى حين أوقف (نور) سيارته أمام بوّابة قطعة الأرض الكبيرة ، وهبط منها ، قائلاً :

ـ أتعشّم أن يرضى باستقبالنا .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ المفترض ألا يرفض هذا .. لقد حصلنا على موعد سابق .

قال (نور) فى بساطة ، وهو يضغط جرس البوّابة :

ـ العلماء لهم أطوارهم الغريبة .

تراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ هذا ما أقوله دائمًا .

بدا التوتر على (رمزى) ، وهو يتطلّع فى ترقّب إلى (نور) ، الذى وقف ثابتًا هادئًا ، حتى سمع صوتًا خشنًا جافًا ، يأتيه عبر جهاز اتصال محدود ، قائلاً :

ـ من ؟!

أجابه بنفس الهدوء :

ـ المقدّم (نور الدين محمود) .. من المخابرات العلمية .. لدى موعد مع الدكتور (رائف) .

جاوبه الصمت لبعض الوقت ، قبل أن ينبعث ذلك الصوت الخشن الجاف مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ابتعد قليلاً يا هذا .

تراجع (نور) فى هدوء ، وواجه عدسة آلة المراقبة ، المثبتة فوق الجرس لبضع لحظات ، ليمنح الرجل فرصة رؤيته جيّدًا ، قبل أن يقول الصوت نفسه فى توتر :

ـ وماذا تريد منى المخابرات العلمية بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حزم مقتضب :

ـ استشارة .

سأله فى حدة :

ـ ومن قال إننى مستعد لتقديم استشارات ؟!

قال (نور) :

ـ لا يوجد سواك ، فى هذا الشأن .

جاوبه الصمت طويلاً ، وعدسة آلة المراقبة تدور فى بطء ، لترصد (أكرم) و (رمزى) ، داخل سيارة (نور) ، قبل أن يقول الدكتور (رائف) فى خشونة :

ـ لماذا أنتم ثلاثة أفراد ؟!

أجابه (نور) ، محاولاً السيطرة على هدوئه :

ـ هذا أقل عدد يتطلبه الأمر .

مضت لحظة صمت أخرى ، قبل أن يسأل الرجل فى عصبية :

ـ أأنتم هنا فى مهمة رسمية ؟! أعنى هل أتيتم لإلقاء القبض علىّ ؟!

قال (نور) فى دهشة :

ـ إلقاء القبض عليك ؟! كلاً بالطبع يا دكتور (رافـف) .. ولماذا نفعل بالله عليك ؟

سمع زفرة ارتياح واضحة ، قبل أن يقول الرجـل ، وقد هدأت نبراته كثيرًا :

ـ آه .. بالفعل .. لماذا تفعلون ؟!

ثم انطلـق أزيز رفيع حـاد ، انفتحت معه البوّابـة المعدنية ، واستعاد الصوت صرامته وخشونته ، وهو يقول :

ـ أمامكم خمس ثوان فحسب وبعدها ستُغلق البوّابـة آليًا ..

لم يكن هناك مبرّر لتلك المهلة القصيرة للغاية ..

ولكن (نور) لم يضع ثانية واحدة ، فى الاسـتنكار والتساؤل ..

لقد وثب داخل سيارته ، وضغط دوّاسـة الوقود ، وهو يهتف برفيقيه :

ـ تشبثا .

وقبل حتى أن يفعلا ، كان ينطلـق نحـو البوّابـة المفتوحة ، ويعبرها بسيارته ، ثم يتجاوزهـا ، متجهًا نحو الفيلا الصغيرة ..

ومن خلفهم ، عادت البوّابة تُغلق ، (أكرم) يهتف محنقًا :

ـ أى وغد مجنون هذا ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر :

ـ الرجل يميل للعزلة ، ويكره التعامل مع الغرباء .

هتف (أكرم) :

ـ هذا لا يمنحه الحق فى كل هذه السخافات .

غمغم (نور) ، وهو يتوقّف أمام باب الفيلا :

ـ من يدرى ؟!

فى نفس اللحظة التى نطق فيها كلماتـه ، برز من الفيلا شخص ضخم الجثة ، أشبه فى جسده وملامحـه بغوريلا برية ، جاءت من أعماق الأدغال ، وخصوصًا بحاجبيه الكثين ، وعينيه الصغيرتين ، اللتيـن تخفيـان ما يدور فى أعماقه ، بضيقهما وبلادتهما ..

وبدهشة حقيقية ، هتف (أكرم) :

ـ أهذا هو خبير العقول ؟!

أجابه (رمزى) مبتسمًا :

ـ كلا بالطبع .. إنه مساعده ، أو حارسه الخاص .

غادر ثلاثتهم السيارة ، وتقدّم (نور) نحو الضخم ، قائلاً :

ـ لدى موعد مع الدكتور (رائف) ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، دار الضخم على عقبيه ، وتقدّم داخل المكان ، دون أن ينطق بحرف واحد ، أو يبدو عليه حتى أنه قد سمع عبارة (نور) ..

وفى سخرية عصبية ، غمغم (أكرم) وهم يتبعونه :

ـ (سلوى) كانت على حق .. إنه أشبه بأفلام الرعب القديمة .

تمتم (رمزى) فى خفوت :

ـ صدقت .

كان الضخم يقودهم عبر ممرات ضيقة ، مضاءة بمصابيح خافتة ، أضفت على المكان كله رهبة

وغموضًا عجيبين ، جعلا الجميع يلوذون بصمت تام ، حتى بلغوا بابًا كبيرًا ، فى نهاية أحد الممرات ، فطرقه الضخم مرتين ، ووقف ينتظر فى احترام ..

ومن داخل المكان ، بدا وقع أقدام يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انفتح الباب ..

وغمر الضوء الممر كله ..

ضوء ساطع ، جعل الثلاثة يغلقون عيونهم لحظة ، و (أكرم) يطلق سبابًا ساخطًا ، ثم يفتح عينيه ، متمتمًا :

ـ معذرة .. لم أنتبه إلى هذا .

ابتسم رجل نحيل طويل ، ذو شعر ناعم قصير ، وشارب ولحية صغيرين ، وقال وهو يدس كفيه فى جيبى معطفه الأبيض :

ـ أنا الذى يعتذر عن الضوء الخافت فى الممرات ، ولكنها وسيلة لتوفير الطاقة فحسب .

قالها ، وأفسح المكان لدخولهم ، متابعًا :

ـ تفضّلوا ، على الرحب والسعة .

صافحه (نور) ، قائلاً :

ـ الدكتور (رائف) .. أليس كذلك ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يبتسم ابتسامة لم ترق لهما أبدًا ، ويقول :

ـ كلاّ للأسف .. أنا مساعده (فيليب) ، وهذا حارس المكان (كاظم) ..

قال (أكرم) فى سخرية متوترة :

ـ لقد تعرفناه فى البداية ، وتبادلنا حديثًا ممتعًا ، و ..

قاطعه (فيليب) بابتسامة هادئة ، وعيناه تشعّان مكرًا ودهاء :

ـ عجبًا ! (كاظم) لا يتحدّث أبدًا .

كان الموقف على وشك التوتر ، لذا فقد تساءل (رمزى) ، فى محاولة لتخفيفه :

ـ أين الدكتور (رائف) ؟!

أجابه صوت خشن جاف من الداخل :

ـ هنا يافتى .

ثم برز كهل أشيب الشعر ، يكمل :

ـ كنت أجرى تجربة مهمة ، عندما قطعتم أفكارى بقدومكم .

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

أو يدلى بتعليق واحد ..

فالرجل ، الذى يعدّ فلتة فى مجاله ، كان يجلس على مقعد متحرّك ..

كان مقعدًا ..

ولثوان ، تطلّع إليه الجميع فى صمت ، فقال ساخرًا :

ـ هل أثير فى نفوسكم الشفقة ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

ـ بل كل احترام وتقدير يا سيّدى .



فالرجل ، الذى يمدّ فلته فى مجاله ، كان يجلس على مقعد متحرّك .. كان مقعدًا ..

رمقه الرجل بنظرة حادة ، ثم لم يلبث أن ضغط زر محرّك مقعده ، فدار حول نفسه ، وعاد إلى داخل الحجرة ، وهو يقول :

ـ دعونا لا نضيع المزيد من الوقت .. أخبرونى ما لديكم ، حتى أعود إلى تجاربى .

شدّ (رمزى) قامته ، وقال :

ـ نحن أيضًا لدينا تجربة عجيبة .

ردّد الدكتور (راتف) فى حذر :

ـ تجربة عجيبة ؟! أية تجربة ؟!

مال (رمزى) نحوه مجيبًا :

ـ تجربة اتصال فكرى .

غمغم الرجل فى حذر أكثر :

ـ وماذا فى هذا ؟!

تابع (رمزى) فى حزم :

ـ من عالم آخر .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل أخبرك أحدهم أننى أحد دجّالى تحضير الأرواح ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب :
ـ الواقع أنها قصة طويلة .
ثم تطلَّع إلى عينى الرجل مباشرة ، وهو يضيف :
ـ وعجيبة .. عجيبة للغاية .
ثم راح يروى القصة ..
بكل التفاصيل ..
الممكنة ..

* * *

طوال نصف الساعة ، التى روى خلالها (نور) كل ما يمكن روايته ، من قصة (محمود) ، وما فعله لإنقاذهم فى نهر الزمن ، ثم ضياعه فيه ، وتصوُّرهم أنه قد لقى مصرعه ، حتى كان اتصاله العقلى بهم ، على كوكب الطغاة ، الذى غيَّر نظرتهم للأمور تمامًا ، لم ينبس أحد الحضور ببنت شفة ، وبالذات الدكتور (رانف) ومساعده (فيليب) ، اللذين أنصتا بكل اهتمامهما وانتباههما ، حتى شرح أمر تلك الكوابيس ، التى تهاجم (رمزى) يوميًا ، وشكوكهم فى كونها

محاولة من (محمود) للاتصال العقلى بهم ، من العالم الذى ذهب إليه ..

ولثوان بعدها ، ظلّ الدكتور (رانف) صامتًا ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ كلا الاحتمالين وارد .. من الممكن أن يكون الأمر كله عبارة عن لمحة من العقل الباطن ، الذى يشعر بشىء من تأنيب الضمير ، لأن صاحبه ، من وجهة نظره ، لم يبذل الجهد الكافى ، لإنقاذ صديقه من محنته .

غمغم (رمزى) فى مرارة :
ـ لقد فعلنا كل ما بوسعنا .

رمقه العالم بنظرة طويلة ، وابتسم مساعده ابتسامة لم ترق أبدًا لـ (نور) و(أكرم) ، قبل أن يتابع الرجل :

ـ ومن الممكن أيضًا أن يكون هذا نوعًا من الاتصال العقلى المتطوِّر .
سأله (نور) :

ـ وكيف يمكن حسم هذا ؟!

أدار العالم عينيه إليه ، مجيبًا فى حزم :

ـ بتقوية الاتصال .

غمغم (أكرم) :

ـ نفس ما اقترحته (سلوى) .

نطقها فى ضجر ، وكأنما يشعر بالندم ، على قطعهم كل تلك المسافة ، للحصول على الجواب نفسه ، فى حين قال (رمزى) فى توتر :

ـ على حد علمى ، لا توجد وسيلة علمية واحدة ، لتقوية الاتصالات العقلية والذهنية .

ابتسم (فيليب) ابتسامته غير الباعثة على الارتياح ، وتراجع مستندًا بظهره إلى الجدار وعيناه تلتمعان بنظرة ساخرة عجيبة ..

أما الدكتور (رانف) ، فقد ارتسم حزم مدهش على ملامحه ، وهو يقول :

ـ خطأ يا هذا .. الأصوب أن تقول : إنه لم تكن توجد وسيلة علمية واحدة لهذا .

ثم أشار إلى (فيليب) ، فتردد لحظة ، قبل أن يتجه نحو باب مغلق ، ويفتحه ، ثم ينزاح جانبًا ، والدكتور (رانف) يضيف :

ـ قبل أن يظهر (مايندريليزر) .

اتسعت عينا (رمزى) فى دهشة مبهورة ، ومطّ (أكرم) شفتيه فى حيرة ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهم يتطلّعون إلى الجهاز العجيب ، الذى ظهر أمامهم ، وراء الباب المفتوح ..

جهاز بسيط ، عبارة عن مقعد عادى ، اتصلت به عدة أسلاك وخراطيم رفيعة ، وفوقه خوذة نصف كروية ، أشبه بمجفف الشعر ، فى محلات التصفيف الأنثوية ..

وللثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، وران على المكان صمت رهيب ، والدكتور (رانف) يتطلّع إليهم فى زهو ، قبل أن يقطع (أكرم) هذا الصمت ، وهو يغمغم فى حيرة :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) ، والانبهار يتقاطر من كلماته :

ـ (مايندريليزر) (Mind releaser) .. أو مُطلق العقل .. إنه جهاز قادر على تقوية كل القدرات العقلية للموهوبين .

قال الدكتور (رالف) وعيناه تتألقان على نحو مثير :

ـ خطأ يا هذا .. إنه جهاز أكثر تطورًا ، يمكنه تقوية وتحسين كل القدرات العقلية الخارقة ، الكامنة فى أعماق العقل البشرى العادى .. تلك القدرات التى لا تبرز فى المعتاد ، إلا فى ساعات التوتر والخطر .

سأله (أكرم) مبهورًا :

ـ هل تعنى أن كلنا لدينا قدرات عقلية خارقة ؟

أجابه فى حزم :

ـ نعم .. كلنا ..

ثم أشار إلى جهازه ، مضيفًا فى فخر :

ـ (مايندريليزر) وحده ، يمكنه إطلاق تلك القدرات .

سأله (نور) فى حذر :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكنه تقوية الاتصال ؟!

التفت إليه فى سخرية ، مجيبًا :

ـ أعتقد ؟! لا شأن للعلم بالمعتقدات يا فتى .

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

ـ إننى واثق .

قالها ، وهو يتطلّع فى تحد مستفز ، إلى عينى (نور) مباشرة ، فتطلّع إليه هذا الأخير بدوره ، وهو يقول :

ـ أتعشّم هذا .

ثم ينتبه (رمزى) إلى ما يحدث بينهما ، وهو يسأل فى لهفة :

ـ إذن فجهازك يمكنه تقوية الاتصال ، بينى وبين (محمود) .

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ لو أنه هناك اتصال حقيقى .

تبادل (نور) و(أكرم) و(رمزى) نظرة متوترة صامتة ، قبل أن يقول الأخير فى حزم :

ـ أنا مستعد لتجربته فوراً .

انعقد حاجبا (فيليب) فى شدة ، فى حين ارتسمت ابتسامة غامضة ، على شفتى العالم القعيد ، وهو يقول :

ـ ليس بهذه البساطة يا فتى .

سأله (نور) فى حذر :

ـ ولِمَ لا ؟!

أشار بسبّابته ، مجيبًا :

ـ هناك عقار ينبغى تناوله ، قبل إجراء التجربة بست ساعات كاملة ..

ردّد (نور) :

ـ تجربة ؟!

اتسعت ابتسامة الدكتور (رانف) الغامضة ، وهو يقول :

ـ أقصد الاتصال .

تطلّع إليه (نور) لحظة ، فى صمت صارم ، قبل أن يسأل :

ـ قل لى يا دكتور (رانف) : هل اختبرت عملية تقوية الاتصال هذه من قبل ؟

اتسعت ابتسامة الدكتور (رانف) أكثر وأكثر ، وتضاعف غموضها ألف مرة ، على نحو لم يرق قط لـ (أكرم) ، وانعقد حاجبا مساعده فى توتر أشدّ ، وهو يشيح بوجهه ، وكأنما يخشى أن يقرأ أحدهم انفعاله ..

وعاد ذلك الصمت الرهيب يهبط على المكان كله ..

صمت ضاعف من توتر الموقف ، والجميع يتطلعون بعضهم إلى البعض ، فى حذر وترقُّب ..

ثم قطع الدكتور (رانف) ذلك الصمت ، وهو يدير مقعده ذا المحرك الآلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ (فيليب) سيعطيك العقار .. والاتصال سيتمّ فى الواحدة بعد منتصف الليل تمامًا ..

قالها ، واندفع عبر باب خلفى ، ثم أغلقه خلفه فى قوة ..

ومع تلاشى صوت إغلاق الباب ، عاد الصمت يغلف المكان ..

صمت أشد قوة ..

وأكثر رهبة ..

* * *

سطع البرق فى السماء ، وراحت الأمطار تهطل فى غزارة ، فى تلك البقعة الساحلية المنعزلة ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع عبر النافذة ، مغمغمًا فى توتر :

ـ لم يكن ينقصنا سوى هذا لتكتمل مشاهد فيلم الرعب التقليدى .

تطلّع إليه (نور) ، وهو يجلس على مقعد كبير ، فى ركن الحجرة ، وبدا مستغرقًا فى تفكير عميق ، وهو يقول :

ـ صدقت .

مطّ (أكرم) شفتيه فى سخط ، وهو يلقى نظرة على (رمزى) ، الذى استغرق فى نوم عميق ، فوق الفراش الكبير فى الحجرة ، ثم هتف فى حدة :

ـ كيف يمكنه النوم ، فى ظروف كهذه ؟!

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ من المؤكّد أن ذلك العقار ، هو المسئول عن هذا .

هزّ (أكرم) رأسه فى عصبية ، وقال :

ـ لست أشعر بالارتياح هنا يا (نور) .. هؤلاء الأوغاد يخفون شيئًا ما .

قال (نور) فى خفوت :

ـ المهم ألا يكون ما يخفونه كارثة .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ كارثة ؟! ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجابه فى قلق ملحوظ :

ـ من الواضح أن ما سيفعله الدكتور (رانف) الليلة ، هو أمر لم تتم تجربته أو يجرى اختباره من قبل .. لهذا لم يجب سؤالى ، عندما أردت الاستفسار عن هذا .

قال (أكرم) فى ذعر :
ـ رباه ! ولكنه يبدو واثقًا يا (نور) !
قال (نور) فى حزم منفعل :
ـ ربما .. علمه يقول : إن هذا سينجح ، ولكن التجربة لم تثبت هذا بعد .
ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :
ـ وهو ينتظر الإثبات الليلة .
كرّر (أكرم) :
ـ يا إلهى ! يا إلهى !
وهتف وهو يتجه نحو فراش (رمزى) ، وكأنما يحاول حمايته من خطر مجهول ، يجهل حدوده تمامًا :
ـ لن أسمح له بمسّ شعرة واحدة من (رمزى) .
غمغم (نور) فى صرامة :
ـ سأقتله لو فعل .
التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع إلى (رمزى) ، النائم فى عمق ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :
ـ (نور) .. دعنا نغادر هذا المكان فورًا .
هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أعتقد أن (رمزى) سيتفق معك فى هذا .
هتف :
ـ سنحمله عنوة .
هزّ (نور) رأسه مرة أخرى ، وقال :
ـ سنضطر لقتله أولاً ، ففضول العالم فى أعماقه سيدفعه إلى خوض التجربة ، حتى ولو استشعر فيها بعض الخطر .. لن يمكنه أبدًا أن يتجاوز الفرصة ، فى حسم أمر تلك الكوابيس ، التى تهاجمه فى شراسة ، منذ شهر كامل .
عاد (أكرم) يمطّ شفتيه ، كلما شعر بالسخط ، تجاه أمر ما ، واتجه نحو النافذة ثانية ، وراح يتطلّع عبرها لدقيقة كاملة ، قبل أن يسأل (نور) فى عصبية :
ـ وماذا لو كان اتصالاً ذهنيًا بالفعل يا (نور) ؟!
تنهّد (نور) ، مجيبًا :
ـ سيكون علينا أن نبذل كل جهد ممكن ، لاستعادة زميلنا .
ارتفع حاجبا (أكرم) فى تأثّر ، وهو يغمغم :
ـ كم أتمنى هذا .. كم أتمنى أن ..

بتر عبارته بغتة ، على نحو جعل (نور) يسأله فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار بيده ، وهو يميل نحو النافذة أكثر ، قائلاً فى عصبية :

ـ ماذا يفعل ذلك الثور بالضبط ؟!

نهض (نور) من مقعده ، واتجه نحو النافذة فى سرعة ، ومال بدوره ، محاولاً اختراق الأمطار المنهمرة عليها ببصره ، وهو يتطلّع إلى الفناء الضخم ، المحيط بالفيلا ..

وانعقد حاجباه فى دهشة متوتّرة ..

فتحت الأمطار المنهمرة فى غزارة ، كان الحارس الضخم (كاظم) ، الشبيه بالغوريلا ، يسير فى الفناء ، وكأنما لا يشعر بالطقس الرهيب ..

وكان يقوم بعمل عجيب ..

عجيب للغاية .

* * *

٣ ـ التجربة ..

صرخة قوية ، انطلقت فجأة ، من بين شفتى (سلوى) ..

صرخة أعلنت أن الوليد المرتقب قد استعد للخروج إلى الدنيا ..

وفى هلع ، هرعت (نشوى) إلى أمها ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟!

كان وجه (سلوى) يتصبّب عرقًا ، على الرغم من ابتسامتها الشاحبة ، وهى تجيب :

ـ إنه (طارق) .. يبدو أنه فى طريقه إلينا(*) .

بدا الذعر على وجه (نشوى) ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ ماذا أفعل ؟! ماذا ينبغى أن أفعل ؟!

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

بدت (سلوى) أكثر شحوبًا وإرهاقًا ، وهى تقول :

- لا شىء .. فقط اتصلى برجال الإسعاف ، و ..

بترت عبارتها ، لتطلق صرخة أخرى ، ارتجف لها جسد (نشوى) كله ، وهى تعدو نحو الهاتف ، صائحة :

- الإسعاف .. الإسعاف .

ارتجفت أصابعها بشدة ، وهى تبحث عن الرقم فى ذاكرتها ، ثم لم تلبث أن هتفت :

- سأتصل بأبى .

صاحت بها (سلوى) :

- لا .

ثم استطردت ، وهى تعضّ شفتيها ألمًا :

- الأمر لن يستغرق طويلاً ، وهو فى (الإسكندرية) الآن .. لا داعى لأن نثير توتره وقلقه الآن .

قالت (نشوى) مذعورة :

- ما رقم الإسعاف إذن ؟!

ابتسمت (سلوى) فى إرهاق شديد ، وهى تجيب :

- اضغطى زر الطوارئ الثالث فحسب .

لم تدر (نشوى) كيف نسيت هذه المعلومة ، ولكنها أسرعت تضغط زر الطوارئ الثالث ، ولم تكد تنتهى ، حتى سمعت صوت رجل الإسعاف ، يسألها فى اهتمام :

- هنا دائرة الإسعاف .. الكمبيوتر سجّل اسمك ورقم هاتفك وعنوان منزلك .. ما المطلوب منّا بالضبط ؟!

أجابته فى توتر شديد :

- المولود قادم .. أسرعوا .. إنها تتألّم بشدة .

قال الرجل فى حزم :

- هليوكوبتر الإسعاف ستصل خلال دقائق .

وأنهى الاتصال ، وهو يضغط بعض الأزرار أمامه ، تنقل الأوامر إلى أسطول طائرات الإسعاف ، فى نفس الوقت الذى هرعت فيه (نشوى) إلى أمها ثانية ، وهى تهتف :

- لقد اتصلت بهم و ..

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تحدّق فى وجه أمها الشاحب ، والعرق الغزير الذى يغمر وجهها ،

وأنفاسها المتلاحقة على نحو مخيف ، ثم اندفعت نحوها ، تهزّها فى رفق مذعور ، هاتفة :

ـ أمى .. استيقظى يا أمى .. استيقظى .

ثم أدركت فجأة أن (سلوى) فاقدة الوعى ..

وتراجعت فى ذعر بلا حدود ..

وفى أعماقها ، انطلق هتاف مرتاع ..

لابد من الاتصال بوالدها (نور) ..

لابد ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وانطلق فى عقله ألف سؤال وسؤال ، وهو يتابع ما يفعله الحارس الضخم ، فى الفناء المحيط بالفيلا الصغيرة ..

لقد كان يحمل كومة من أعمدة رفيعة ، ذات رءوس معدنية مستديرة ، ويغرسها فى الأرض ، فيما يشبه دائرة كبيرة ، تحيط بالفيلا كلها ، وبين كل عمود والآخر مسافة ثلاثة أمتار فحسب ..

وفى حيرة عصبية ، تساءل (أكرم) :

ـ ألم يجد وقتًا أفضل من هذا ، للعبث بأعمدة معدنية ؟! ألا يدرك أن كل عمود منها يمكنه جذب صاعقة كاملة(*) ؟!

غمغم (نور) :

ـ ربما كان هذا هو المطلوب بالضبط .

التفت إليه (أكرم) فى حيرة متسائلة ، فتابع فى حزم :

ـ جذب الصواعق !!

هتف (أكرم) :

ـ ولماذا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ ربما للحصول على طاقة هائلة منها .

ثم استدار إليه ، مضيفًا فى توتر شديد :

ـ لتشغيل مُطلق العقول مثلاً .

هتف (أكرم) مبهورًا :

ـ يا إلهى !

(*) حقيقة .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يلقى نظرة قلقة على (رمزى) ، الغارق فى سبات عميق ، مستطردًا :

ـ ألن يؤذيه هذا ؟!

ألقى (نور) نظرة على (رمزى) بدوره ، قبل أن يغمغم :

ـ لست أدرى .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ لست تدرى ؟! أى قول هذا يا (نور) .. إنها حياة زميلنا ، ورفيق كفاحنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل حياة زميلين ، ورفيقى كفاح يا (أكرم) .. أحدهما يرقد أمامنا الآن ، والثانى هناك .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، مضيفًا :

ـ فى عالم آخر .

نقل (أكرم) بصره بين (نور) و (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يتحسّس مسدسه فى حزامه ، قائلاً فى صرامة :

ـ لو مسّوا شعرة واحدة منه ، أقسم أن أمزّقهم إربًا ، حتى تعجز أمهاتهم أنفسهن عن تعرُّفهم .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ أتعشّم ألا تصل الأمور إلى هذا الحد .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع أزيز قوى ، من جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه فى سرعة ، متمتمًا :

ـ تُرى من ..

قبل أن تكتمل عبارته ، دوت فرقعة قوية فى الخارج ، وتذبذبت أضواء الحجرة الخافتة فى عنف ، ثم توهّجت شاشة جهاز اتصال (نور) فى قوة ، وبعدها خبت تمامًا ..

وفى توتر ، اندفع (أكرم) نحو النافذة ، هاتفًا :

ـ ماذا فعل ذلك الغوريلا بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يلقى نظرة عصبية على جهاز الاتصال ، الذى فقد طاقته كلها :

ـ أيًا كان ، فقد أفسد الاتصالات اللاسلكية والرقمية فى المكان .

تطلّع الاثنان عبر النافذة ، وانعقدت حواجبهما فى شدة ..

لم يعد الحارس (كاظم) هناك ، ولكن تلك الأعمدة كانت تصنع بالفعل دائرة متكاملة ، تحيط بالفيلا ، على مسافة مائة متر فحسب ..

أما رءوسها المعدنية المستديرة ، فكانت مضيئة بضوء بنفسجى هادئ ، يتذبذب بإيقاع منتظم رتيب ..

وفى توتر بالغ ، غمغم (أكرم) :

ـ ماذا سيفعلون بنا يا (نور) ؟!

أجاب (نور) فى صرامة :

ـ ما سنسمح لهم بفعله فحسب .

مع آخر كلماته ، دق الباب دقتين خافتتين ، ثم دلف (فيليب) إلى الحجرة ، حاملاً ابتسامته المقيتة ، وهو يقول :

ـ نصف ساعة فحسب ، وتبدأ عملية الاتصال .. حان الوقت لإيقاظ زميلكما ، و ..

اندفع (أكرم) نحوه ، قبل أن يتمّ عبارته ، ودفعه فى خشونة ، حتى ألصقه بالجدار ، ثم انتزع مسدسه من حزامه ، وألصق فوهته الباردة بأسفل ذقنه فى قسوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

ـ ماذا تفعلون بنا ؟!

كانت الحركة عنيفة مباغتة ، وعلى الرغم من هذا ، ظلّ (فيليب) محتفظاً بهدوئه وتماسكه ، وهو يقول :

ـ آه .. مسدس تقليدى ، مزوّد بساقية تلقيم ، تتسع لثمان رصاصات .. سلاح ليس من المعتاد أن يراه المرء ، مع رجل أمن .

صاح به (أكرم) :

ـ دعك من سلاحى ، وأجب سؤالى .

تألّقت عينا (فيليب) بابتسامة ساخرة عجيبة ، وهو يجيب :

ـ وماذا سنفعل بكم ؟! أنتم أتيتم إلينا ، تنشدون رأينا وتعاوننا ، ولم يسع أحد إليكم .

رمقه (نور) بنظرة صامتة طويلة ، في حين صرخ (أكرم) ، في عصبية زائدة :

ـ هذا ليس جوابًا .

صاح به (فيليب) في صرامة :

ـ وما ألقيته ليس سؤالاً ؟!

وتطلّع إلى عيني (أكرم) مباشرة ، مضيفًا :

ـ إنه اتهام .

والتقى حاجباه ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف ، متابعًا :

ـ اتهام مرفوض تمامًا .

بادله (أكرم) نظرة متحدية غاضبة ، و ..

وفجأة ، سطعت عينا (فيليب) ..

سطعتا كشمسين صغيرتين ، وثبتا بغتة إلى محجريه ..

وتراجع (أكرم) بحركة حادة ، وهو يخفي وجهه بذراعه ، هاتفًا :

ـ رباه ! كيف فعلت هذا ؟!

اعتدل (فيليب) في هدوء ، وهو يسأل :

ـ فعلت ماذا ؟!

أزاح (أكرم) ذراعه عن وجهه ، صائحًا :

ـ عيناك .. لقد سطعتا في وجهي .. هل رأيت ما حدث يا (نور) ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إلى (فيليب) ، دون أن يجيب ، فصاح (أكرم) :

ـ هل رأيته يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه في بطء ، مغمغمًا :

ـ كلاً يا (أكرم) .. لم أر شيئًا .

حدّق فيه (أكرم) بذهول ، قبل أن يهتف في عصبية :

ـ مستحيل ! لقد سطعت عيناه ، حتى كادتا تضيئان الحجرة .

هزّ (فيليب) كتفيه في هدوء ، قائلاً بابتسامة غامضة مقيتة :

ـ لعله البرق .

صاح به (أكرم) في حدة :

ـ لم يكن هناك برق .. إنهما عيناك .

قال (نور) فى بطء ، وكأنما يـزن كـل حـرف مـن كلماته :

ـ لم أر عينيه تسطعان يا (أكرم) .

صاح (أكرم) فى حنق :

ـ أنا لست واهمًا .

اتسعت ابتسامة (فيليب) وازدادت خبثًا وغموضًا ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

ثم استدار يزمع مغادرة الحجرة ، مستطردًا :

ـ أيقظا زميلكما ، وسيأتى (كاظم) لاصطحابكما ، عندما يصبح كل شىء جاهزًا .

هتف به (نور) فى صرامة :

ـ لحظة يا سيِّد (فيليب) .

استدار إليـه (فيليـب) فـى بطء ، فسـأله بنفـس الصرامة :

ـ ما تلك الأعمدة ، التى تحيط بالفيلا ؟!

صمت (فيليب) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ لا تقلق نفسك بشأنها .. إنها واحدة من تجاربنـا العلمية .

قال (نور) :

ـ ولكنها أفسدت جهاز الاتصال .

ابتسم (فيليب) ، قائلاً :

ـ يا للخسارة !

ثم استدار مغادرًا الحجرة ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، فهتف (أكرم) فى عصبية :

ـ لقد سطعتا .. أقسم على هذا .

أدار إليه (نور) عينين حائرتين ، وهو يقول :

ـ المؤكَّد أنك رأيتهما تسطعان ، سواء أحدث هذا أم لا ..

هتف (أكرم) :

ـ ولكنه حدث .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يتجه نحو الفراش ؛ ليوقظ (رمزى) مغمغمًا .

ـ ربما يا صديقى .. ربما .

وحملت لهجته توترًا بلا حدود ، وهو يضيف :

ـ الشىء الوحيد المؤكَّد ، هو أنه هناك أمر ما يحدث فى هذه الفيلا المنعزلة .. أمر يفوق الحدود المألوفة .

وأطلَّت صرامة مخيفة من عينيه ، مع استطرادته :

ـ أمر من وراء العقل .

وسطع البرق مرة أخرى ..

فى قوة ..

* * *

تردَّد هزيم الرعد وسط الصمت المهيب ، الذى غرق فيه الجميع ، فى معمل الدكتور (راتف) ، وأعقبه وميض البرق ، ليضىء النوافذ والمكان ، فغمغم (أكرم) :

ـ كل ما ينقصنا هو شبح بائس ، ودماء تسير على الجدران ، لتكتمل الصورة تمامًا .

ابتسم الدكتور (راتف) ، وهو يجلس على مقعده المتحرِّك ، أمام كمبيوتر المعمل ، ويعمل على أزراره ، قائلاً :

ـ لك خيال خصب ، يا رجل المخابرات العلمية .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

هزَّ الرجل كتفيه ، مغمغمًا :

ـ إنه شأنك وحدك .

ثم رفع عينيه إلى (رمزى) الذى جلس على مقعد محقق العقول (مايند ريليزر) ، وخوذة الجهاز على رأسه ، والتوتر يملأ ملامحه ، وسأله :

ـ أنت مستعد للاتصال ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، ولسانه يعجز عن النطق ، فرفع (فيليب) أحد حاجبيه وخفضه ، مع ابتسامة جعلت (نور) يعقد حاجبيه ، ويقول فى غلظة :

- هذا الجهاز يبدو لى أشبه بالكرسى الكهربائى(*) .

لوّح الدكتور (رائف) بيده ، دون أن يلتفت إليه ، وقال :

- شتان بين هذا وذاك .

قال (أكرم) فى عصبية :

- حقًّا ؟! وأيهما أكثر رحمة ؟!

أجابه الدكتور (رائف) ، وهو يشير إلى جهازه فى جدية :

- هذا بالطبع .

سأله (نور) فى توتر :

- حتى مع الطاقة الهائلة ، التى يستهلكها تشغيله .

التفت إليه الرجل هذه المرة ، قائلاً فى دهشة :

(*) الكرسى الكهربائى : مقعد من المعدن ، يستخدم لتنفيذ حكم الإعدام ، فى بعض الولايات الأمريكية ، له خوذة تربط على الرأس ، وسيور جلدية ، لتثبيت المحكوم عليه بالإعدام إليه ، ثم يسرى فيه تيار كهربى شدته خمسمائة ألف فولت ، ويستمر سريان التيار الكهربى ، حتى تعلن وفاة المتهم تمامًا ، وبعض الجمعيات الطبية تعتبره وسيلة قاسية وغير آدمية لقتل إنسان ، حتى ولو كان قاتلاً .

- طاقة هائلة ؟! إنه يستهلك طاقة مبرّد مياه صغير يا هذا .. العبرة ليست بالقوة ، ولكن بالفكرة العلمية .

سأله (نور) فى صرامة :

- لماذا تلك الأعمدة فى الخارج إذن ؟! ولماذا أفسدت جهاز الاتصال الخاص بى ؟!

زمجر الدكتور (رائف) قائلاً :

- أنت تلقى الكثير من الأسئلة يا فتى .

قال (نور) :

- ترى هل يكفى هذا ، للحصول على الكثير من الأجوبة ؟!

تجاهله الدكتور (رائف) تمامًا ، وهو يتطلّع إلى (رمزى) ، قائلاً :

- الكابوس لم يهاجمك هذه المرة .. أليس كذلك ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، فتابع العالم :

- هذا بسبب العقار الذى تناولته .. إنه سيساعد عضلاتك على تحقيق الاسترخاء اللازم ، ويجعل عقلك

أكثر صفاءً ، عندما يبدأ عمل الجهاز ، مما سيحقق أفضل ظروف مناسبة للاتصالات الذهنية .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن هذا سيفلح ؟!

انعقد حاجبا العالم فى غضب ، وقال :

ـ قلت لك : لا توجد اعتقادات فى العلم .

ثم ضغط زرًا أخيرًا ، مضيفًا :

ـ هناك قواعد فحسب .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، عندما ضغط الدكتور (رائف) ذلك الزر الأخير ، ومطّ (أكرم) شفتيه فى شدة ، وكلاهما يتطلّع إلى (رمزى) ، فى توتر واهتمام شديدين ..

أما هذا الأخير ، فقد بدا هادئًا للغاية ، وهو يسترخى فى المقعد ، فى حين راحت الخوذة تتألّق بلون وردى باهت ..

وتتألّق ..

وتتألّق ..



ا هذا الأخير ، فقد بدا هادئًا للغاية ، وهو يسترخى فى المقعد ، فى حين راحت الخوذة تتألّق بلون وردى باهت ..

وفى كل مرة ، كان جسد (رمزى) يسترخى أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..
وفى خفوت عصبى متوتر ، تمتم (أكرم) :
ـ ترى هل ..

استدار إليه العالم فى غضب هادر ، فبتر عبارته فى
سرعة ، وأطبق شفتيه ، وراح يتابع ويراقب (رمزى)
وسط صمت شامل مهيب ، إلا من أزيز جهاز مطلق
العقول ..

وأغلق (رمزى) عينيه ، وكل ذرة فى كيانـ
تسترخى ..
وتسترخى ..
وتسترخى ..

لم يعد داخل معمل الدكتور (رائف) ، فى تلـ
الفيلا ، على شاطئ البحر ..
كل شىء من حوله لم يعد كما كان ..
ها هى ذى الرمال الفيروزية الباردة تحيط به ..

ـه يراها ..
ويشعر ببرودتها ..
ومن بعيد ، رأى الشموس الأربع ..
الزرقاء ..
والأرجوانية ..
والصفراء الكبيرة ..
والرمادية الصغيرة ..
واصطبغت السماء بلون وردى باهت ..
وهتف (رمزى) :
ـ (محمود) .. أين أنت ؟!
كان الصوت واضحًا ، أكثر من أية مرة أخرى :
ـ هنا يا (رمزى) .

ثم بدأت سحابة باهتة تتكون وتتجمع أمامه ،
وصوت (محمود) يضيف :
ـ أمامك تمامًا .
ولهث (رمزى) ..
لهث بانفعال حقيقى ، وهو يحدق فى السحابة ،
التى تكثفت ..

وتلفتت

وتلفتت ..

ثم تحولت إلى أحب شخص تمنى رؤيته ، فـى تلك الظروف ..

(محمود) ..

« لماذا يلهث هكذا ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى قلق ، فلوّح العالم بيده فى غضب وحدة ، جعلتـاه ينتهـم سـؤاله ، ويعقـد حاجبيه فى عصبية ، وهو يراقب (رمزى) فـى قلق شديد ..

« إذن فأنت حى بالفعل .. »

هتف (رمـزى) بالسـؤال فـى لهفـة ، فابتسـم (محمود) ، قائلاً :

- أنا حى منذ البداية يا صديقى .

ثم اكتسى صوته بحزن عجيب ، وهو يضيف :

- ولكننى سجين هنا .

هتف (رمزى) فى حماسة :

- ليس إلى الأبد . سنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك .

ابتسم (محمود) فى حزن ، مغمغمًا :

- لا يمكنك أن تتصوّر كم أحلم بهذا .

حدّق (رمزى) فيه طويلاً ، وكأنما لا يصدّق أنـه يراه أمامه ، وقال فى حماسة :

- إذن فهو اتصال ذهنى حقيقى ، وليس انعكاسًـا لعذاب باطنى .

أجابه (محمود) فى هدوء :

- نعم .. هو اتصال حقيقى يا صديقى .

سأله (رمزى) :

- ولماذا أنا ؟!

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى يا (رمزى) .. صدقنى .. إننى أحاول الاتصال بكم طوال الوقت .. بكم جميعًا .. ولكن هذا ينجح فقط فى مرات قليلـة ، تحت ظروف لا يمكننـى فهمهـا أو تحديدهـا بـالضبط .. ربمـا عندمـا تجتمـع الشموس الأربع معًا .

سأله فى لهفة :

ـ ومتى يحدث هذا ؟!

عاد يهزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ ما زلت أجهل هذا .. لقد حاولت دراسة الأمر ، وإيجاد علاقات زمنية واضحة ، ولكن الزمن نفسه مازال مجهولاً تمامًا بالنسبة لى ، فى هذا العالم .. حتى المسافة ، لا تعنى الكثير ..

سأله (رمزى) :

ـ ألا توجد وسيلة لاستعادتك ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، ثم أجاب فى بطء :

ـ لم أجد أية وسيلة واضحة فى الماضى ، ثم ..

بتر عبارته ، فهتف به (رمزى) :

ـ ثم ماذا ؟!

تطلّع إليه طويلاً فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ثم خطرت ببالى فكرة .

سأله بلهفة :

ـ وما هى ؟!

اقترب (محمود) منه ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، مجيبًا :

ـ العبور من خلال عقل بشرى .

تساءل (رمزى) فى دهشة حائرة :

ـ من خلال ماذا ؟!

قبل حتى أن يتمّ تساؤله ، كان (محمود) قد اندفع نحوه ..

وارتطم به ..

أو بمعنى أكثر دقة ، غاص فى كيانه ..

وكانت الآلام شديدة ، حتى إنه أطلق صرخة قوية ..

وراح ينتفض فى عنف ..

« ماذا يحدث له ؟! »

هتف (نور) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، فهزّ الدكتور (رائف) رأسه ، فى حيرة ودهشة حقيقيتين ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. هذا لم يحدث من قبل قط .

مع كلماته ، انتفض جسد (رمزى) بعنف أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..

ودوت صرخاته في المكان ، تشف عن آلام وعذاب رهيبين ، فصرخ (أكرم) بدوره :
ـ ماذا يحدث بالله عليكم ؟!

اتسعت عينا الدكتور (رائف) في رعب ، وهو يحدق في الشاشة أمامه ، فوثب نحوه (فيليب) ، وانحنى يلقي نظرة عليها بدوره ، قبل أن يتراجع ، ويدير عينيه إلى (رمزي) ، قائلاً بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :
ـ رباه ! إنه .. إنه ..
ودار ببصره نحو (نور) مضيفًا في ارتياع :
ـ إنه يموت ..
ومع قوله ، أطلق (رمزي) صرخة جديدة ..
صرخة أشد ألمًا ..
وعذابًا ..
وهولاً .

* * *

٤ ـ عالم آخر ..

« اطمئني يا سيدتي .. كل شيء سينتهي على خير بإذن الله .. »

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتي طبيب المستشفى ، وهو يلقي العبارة على مسامع (نشوى) ، التي قالت في عصبية :
ـ ولكنها فقدت وعيها .
هز رأسه ، قائلاً :
ـ لبعض الوقت فحسب .. لقد استعادته الآن وكل شيء يسير على ما يرام ، والفحوص تؤكد أن الطفل سليم معافى ، وسيولد في موعده بإذن الله .
سألته في لهفة :
ـ متى ؟!
اتسعت ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :
ـ قريبًا يا بنيتي .. قريبًا بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ثم ربّت على كتفها ، مستطرداً بابتسامة أبوية حانية :

- لا تجعلى هذا يقلقك كثيراً .. شقيقتك ستتجاوز الأمر ، كما تفعل كل الأمهات .

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة من وسط دموعها :

- إنها أمى .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

- أمك ؟! هذ مستحيل ! كلتاكما تبدوان فى العشرينات ، ومن المستحيل أن تلد إحداكما الأخرى .. من الناحية العلمية على الأقل .

تنهّدت (نشوى) ، قائلة :

- إنها قصة طويلة أيها الطبيب .. تجربة رهيبة مريرة ، مرّرت بها فى طفولتى ، وجعلتنى أقفز عدة سنوات من العمر دفعة واحدة(*) .

هتف بدهشة أكبر :

- حقّاً ؟!

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

كان يبدو متلهفًا لسماع التفاصيل ، ولكنها لم تكن فى موقف يسمح بهذا ، لذا فقد سألته ، محاولة تغيير دفة الموضوع :

- هل تعتقد أن الأمر يستدعى وجود أبى ؟!

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

- لو أنه يرغب فى هذا فقط .

زفرت مغمغمة :

- لست أدرى ماذا أصابه ، أو أصاب جهاز الاتصال الخاص به !! إننى عاجزة عن إتمام الاتصال به ، منذ أكثر من ساعة .

ابتسم ، قائلاً :

- إننى أغلق جهاز اتصالى أحيانًا ، عندما أنشغل بعمل ما .

قالت فى توتر :

- طبيعة عمل أبى لا تمنحه هذه الرفاهية .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال :

- أعلم هذا ، ولكن الظروف قد تدفع المرء أحيانًا إلى فعل ما لا يميل إليه .. ربما كان فى مكان يتعارض مع ذبذبة جهاز الاتصال مثلاً .

تمتمت :

- نعم .. ربما .

اندفعت الممرضة نحوهما ، فى تلك اللحظة ، هاتفة بالطبيب :

- لقد حان الوقت .

بدا عليه الاهتمام ، وربّت على كتف (نشوى) مرة أخرى ، قائلاً :

- اطمئنى .

ثم أسرع إلى حجرة الولادة ، تاركًا إياها خلفه تتمتم :

- ساعدها يا إلهى ! ساعدها .

والتقطت جهاز الاتصال ، وراحت تحاول الاتصال بوالدها للمرة العشرين ..

وفى هذه المرة أيضًا ، تلقّت رسالة إليكترونية ، تشير إلى استحالة الاتصال فى الوقت الحالى ..

وتضاعف توترها ، وهى تتساءل : تُرى ما الذى يحدث ؟!

ما الذى يمنع إتمام الاتصال ؟!

ثم لماذا لم يحاول هو الاتصال بهما ؟!

لطمأنتهما على الأقل ..

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وفى أعماقها ، اشتعل مصباح أحمر صغير ، مثبت دومًا فى غريزتها الأنثوية اليقظة ..

مصباح أنبأها أنه يواجه حتمًا موقفًا يفوق المعتاد .. يفوقه بكثير ..

* * *

لم يكن هناك من سبيل آخر ، فى ذلك الموقف ..

كان على (نور) أن ينقذ (رمزى) ..

مهما كانت الوسائل ..

أو النتائج ..

لذا ، فقد تحرك بأقصى سرعته ، قبل أن يدرى الجميع ما الذى ينبغى فعله ..

وبوثبة واحدة ، بلغ مصدر الطاقة ، و ..

وأغلقه ..

ومع انقطاع التيار الكهربى المباغت ، انتفض جسد (رمزى) انتفاضة أشدّ عنفًا ..

وانطلقت من أعمق أعماقه صرخة ..

صرخة عجيبة ، حملت ألف صوت وصوت ..

إلا صوته هو ..

ثم هدأ جسده بغتة ..

وعادت المؤشرات على شاشة الكمبيوتر ترتفع ..

وتتراقص بعض الوقت ..

ثم تستقر ..

وبكل جزعه ، وثب (أكرم) نحو (رمزى) ، وراح يحلّ الأحزمة التى تربطه إلى مقعده ، وهو يهتف :

ـ رباه ! ماذا أصابه ؟! ماذا أصابه ؟!

حدّق الدكتور (رائف) فى شاشة الكمبيوتر ، ومساعده يقول فى توتر :

ـ إنه فاقد الوعى فحسب .

ألقى (أكرم) نظرة مذعورة على وجه (رمزى) الممتقع الشاحب ، وصاح فى غضب :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

ثم حمله على كتفه ، واندفع به إلى الباب ، مستطردًا :

ـ لو أنكم أصبتموه بأدنى ضرر ، فسوف ..

بتر عبارته بغتة ، عندما ظهر (كاظم) أمامه دون إنذار ، فارتطم به فى عنف ، وكاد يسقط أرضًا بحمله ..

وفى توتر ، قال الدكتور (رائف) :

ـ اهدأ يا سيّد (أكرم) .. الموقف لا يستحق كل هذا .

استدار إليه فى شراسه ، صائحًا :

ـ لا يستحق ؟! الموقف من وجهة نظرك لا يستحق ؟! زميلى كاد يلقى مصرعه ، على مقعدك السخيف هذا ، وتقول إنه موقف لا يستحق ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ أهدأ يا (أكرم) .

تراجع (أكرم) ، مواصلاً :

ـ بل هو موقف يستحق ويستحق ويستحق أيها الوغد .

قال (فيليب) فى صرامة :

ـ كفى يا سيّد (أكرم) .. لقد تجاوزت حدودك .

التفت إليه (أكرم) فى شراسة ، هاتفاً :

ـ تجاوزت حدودى ؟! هل تظن أن ..

بتر عبارته بغتة ، وأطلّ من عينيه ذعر مباغت ، جعله يتراجع فى حركة حادة ، ليرتطم بالحارس الضخم ، الذى كبّل وسطه بذراعيه بغتة ، و (فيليب) يكرّر :

ـ كفى .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو ينقل بصره بين (أكرم) ، الذى استسلم بحمله لذراعى (كاظم) القويتين ، دون أدنى مقاومة ، و (فيليب) الذى يتطلّع إليه فى صرامة :

وباستثناء تلك الصرامة ، كان (فيليب) هو (فيليب) ..

بنحوله ، وطوله ، ولحيته القصيرة ..

فلماذا يحدّق فيه (أكرم) بكل التوتر والانفعال ؟!

لماذا ؟!

« كفى .. »

هتف (نور) بالعبارة فى صرامة ، فاستدار إليه (فيليب) بحركة حادة ، ولم يكد يفعل ، حتى انتفض (أكرم) ، كمن يستيقظ من حلم مفزع ، وحدّق فى (فيليب) لحظة ، وهذا الأخير يقول :

ـ ماذا هناك أيها المقدّم ؟!

اندفع (أكرم) يهتف :

ـ أيها الوغد الحقير .. ماذا تفعل بىّ ؟!

دفع الدكتور (رائف) مقعده إلى الخلف فى عصبية ، وهو يقول :

ـ كفى يا سيّد (أكرم) .. أرجوك .

حنق فيه (أكرم) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وكأنما غصّ حلقه بالكلمات ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ مُر حارسك يترك زميلى يادكتور (رالف) ، واطلب من مساعدك ألا يستخدم تجاربك عليه لإرهابنا .

انعقد حاجبا (فيليب) فى غضب ، فى حين أومأ الدكتور (رالف) برأسه ، ثم أشار إلى حارسه الضخم ، فأفلت وسط (أكرم) ، الذى قال فى حنق :

ـ شكرًا أيها الغوريلا ، فلو واصلت الإمساك بى دقيقة أخرى ، لقتلتنى الرائحة حتمًا .

أشار الدكتور (رالف) بيده ، قائلاً :

ـ عودوا إلى حجرتكم .. كلنا بحاجة إلى قليل من الراحة .

سأله (نور) فى توتر :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟!

هزّ الرجل رأسه ، وبدا صوته أشبه بالنحيب ، وهو يشيح بوجهه ، مجيبًا :

ـ آخر ما سجله الكمبيوتر ، هو أنه فاقد الوعى فحسب .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ هيّا .. فلنحظ جميعًا ببعض النوم والراحة ، ثم نسأل (رمزى) عما أصابه هناك .. فى العالم الآخر .

وكان هذا يحسم الأمر ..

مؤقتًا ..

* * *

« (رمزى) .. استيقظ يا (رمزى) .. استيقظ .. »

للمرة الرابعة ، خلال نصف الساعة ، راح (أكرم) يبذل محاولاته لإيقاظ (رمزى) ، الذى غرق فى غيبوبة عميقة للغاية ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

ـ لافائدة .. إنه غارق حتى أعمق أعماق غيبوبته .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يجيب ، فسأله (أكرم) :

ـ أما زلت عاجزًا عن إصلاح جهاز الاتصال ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه يرفض الاستجابة ، وكأنما فقد اتصاله ، بالمحطة الأم تمامًا .. والعجيب أن مؤشر الطاقة يشير إلى أنه لا يفتقر إليها .

غمغم (أكرم) :

ـ عجبًا ؟!

ثم ألقى نظرة عبر النافذة ، على الأعمدة المحيطة بالمكان ، والتى ما زالت الأمطار تنهمر عليها فى غزارة ، وسأل :

ـ هل تعتقد أنها مسئولة عن هذا ؟!

تطلّع (نور) عبر النافذة بدوره ، وهو يقول :

ـ لقد سمعت الدكتور (رانف) بنفسك .. لا توجد اعتقادات فى العلم .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ أنا واثق من هذا .

وأشار بيده إلى الأعمدة ، التى ما زالت رءوسها المستديرة تتألّق ، وقال :

ـ تلك الأعمدة تصنع حاجزًا خاصًا من الطاقة .. مهمته هى أن يمنع دخول أو خروج أى نوع من الطاقة أو القوة ، وهذا ما قطع كل الاتصال ، بين جهازى ومحطات تقويته الرئيسية .

تساءل (أكرم) فى حيرة :

ـ ولكن أجهزتنا تتلقّى إشاراتها من الأقمار الصناعية مباشرة .

ولوّح بسبابته ، مضيفًا فى عصبية :

ـ من أعلى .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ وهذا يعنى أنه ليس مجرّد حاجز ، بل قبة كاملة من الطاقة ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف ، مستعيدًا توتره :

ـ هذا الرجل يخفى شيئًا ما هنا .. شيئًا يرغب فى احتجازه داخل نطاق نفوذه ، بأى ثمن .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يغرق فى صمته وتفكيره بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتابع فى حزم عصبى :

ـ أو يحاول منعه من الوصول إلى هنا .

راقبه (أكرم) لحظة ، ثم قال :

ـ إنك تثير مخاوفى بحديثك هذا يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ إنها مجرّد فكرة يا صديقى .. بلا دليل واحد يؤيدها ..

ثم أضاف فى صرامة :

ـ لذا ، فمن الضرورى أن نجد ذلك الدليل .

سأله (أكرم) فى حماسة :

ـ ماذا تريد منا أن نفعل ؟!

أجابه فى حزم :

ـ بالنسبة لك ، ستبقى إلى جوار (رمزى) ، حتى يستعيد وعيه .. لا ينبغى أن نتركه وحده لحظة واحدة .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ وبالنسبة لك ؟!

انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه ، وهو يجيب :

ـ سأقوم بجولة سريعة .

سأله (أكرم) فى حدة :

ـ ولماذا لا تبقى أنت وأذهب أنا ؟!

أجابه ، وهو يتجه نحو الباب فى خفة :

ـ لأننى أعرف ما الذى أبحث عنه .

قالها ، وفتح الباب ، وعبره فى سرعة ، ثم أغلقه خلفه فى خفة .

وغمغم (أكرم) فى حنق :

ـ يا للأنانية ! يخصّ نفسه بالمتعة كلها ، ويترك لى الأعمال التقليدية السخيفة .

ثم استدار عائدًا إلى فراش (رمزى) ، و ...

« ربّاه ! » ..

انطلق الهتاف من حلقه ، مع شهقة دهشة ، وهو يحدّق فى (رمزى) ، الذى وقف إلى جوار الفراش ، يتطلّع إليه بعينين عجيبتين ..

ومخيفتين ..

للغاية ..

* * *

لم يكن الحارس الضخم (كاظم) عند الباب ، أو فى الجوار ، كما توقَّع (نور) ، لذا فقد راح يقطع ممرات الفيلا في خفة وسرعة ، متجهًا نحو معمل الدكتور (رائف) ..

كان واثقًا من أن الرجل يخفى شيئًا ما ..

شيئًا يعلمه ..

أو علمه ..

لقد بدا شديد التوتر ، عندما أصاب (رمزى) ما أصابه ..

وربما أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لعالم مثله ، اعتاد مواجهة كل غرائب وعجائب العقل البشرى ..

بكل صوره ..

المعتادة ..

والخارقة ..

ومساعده أيضًا يعلم شيئًا ما ..

أو يخفى شيئًا ما ..

المهم أن الأمور ليست أبدًا كما توحى ..

أو تبدو ..

لاح له باب المعمل ، فى نهاية الممر ، فاتجه نحوه فى خفة ، على أطراف أصابعه ، ولم يكد يقترب منه ، حتى سمع صوت (فيليب) ، يقول فى غضب :

ـ ذلك المقدِّم يعلم الكثير .. هل رأيت كيف أشار إلى تجاربك معى ؟! إنهم ليسوا هنا من أجل ذلك الكابوس المزعوم .. لقد أتوا لكشف ما نفعله ..

أجابه صوت الدكتور (رائف) ، فى توتر بالغ :

ـ مستحيل ! لا أحد يمكنه أن يعلم ما نفعله هنا .. لا أحد يمكن أن يعلم سوانا .

ثم أضاف فى عصبية :

ـ ثم إن المؤشرات أوضحت حدوث اتصال عقلى ذهنى بالفعل ، عندما جلس زميلهم على مقعد (مايند ريليزر) .

واحتدّ صوته ، وهو يهتف :

ـ إنهم لا يعبثون أو يخدعون يا (فيليب) .. هناك أمر حقيقى .. اتصال فائق متطوّر ، لم أشهد مثله قط ، منذ بدأت تجاربى هذه .

قال (فيليب) فى غضب :

ـ مستحيل ! هذا يحتاج إلى عقل متطوِّر للغاية .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ كعقلى .

قال الدكتور (رالف) فى حدة :

ـ ربما كان عقلك متطوِّرًا فريدًا يا (فيليب) ، ولكنه ليس منفردًا فى الوجود .

وتضاعفت عصبيته ، وهو يضيف :

ـ ثم إن الاتصال الذهنى يمكن أن يتم ، لو أن المرسل يمتلك عقلاً متطوِّرًا ، وليس من الضرورى أن يتمتَّع المستقبل بنفس العقلية .. هناك عشرات الحالات المسجَّلة ، لاتصالات ذهنية وعقلية فائقة ، كان المتلقَى فيها شخصية أقل من العادية ، وربما تتمتَّع بمعدلات ذكاء منخفضة ، أو أقلّ من المتوسِّط على أقصى تقدير(*) .

ساد الصمت لبعض الوقت ، بعد أن نطق عبارته الأخيرة ، قبل أن ينبعث صوت (فيليب) ، وهو يسأل فى توتر :

(*) حقيقة .

ـ وهل تنوى مواصلة التجربة ؟!

أجابه العالم فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .. إنها فرصة نادرة ، أتت إلينا بقدميها ، ولا يمكننى إضاعتها أبدًا ، مهما كان الثمن .

سأله (فيليب) ، فى لهجة بدت لـ (نور) صارمة أكثر مما ينبغى ، بين عالم ومساعده :

ـ على الرغم مما حدث .

أجابه فى إصرار :

ـ لقد اتخذت كل الاحتياطات اللازمة هذه المرة .

قال (فيليب) :

ـ فى المرة السابقة قلت هذا ، وكاد الأمر يفلت من بين أيدينا .

أجابه العالم فى عصبية :

ـ فى المرة السابقة لم أكن أدرك حدود قدرات جهازى بعد .. أما الآن فيمكننى تقدير الموقف ، على نحو أكثر دقة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ وأمنًا .

غمغم (فيليب) بصوت سمعه (نور) بصعوبة :

ـ أتعشم هذا ..

عاد الصمت يغلّف الحجرة ، تاركًا (نور) ، ورأسه يشتعل بعشرات الأسئلة ..

إذن فما حدث مع (رمزى) كان اتصالاً حقيقيًا ..

اتصال بينه وبين (محمود) ..

من عالم آخر ..

ولكن ماذا عن تلك التجربة السابقة ، التى يتحدثـان عنها ؟!

من خضع لها ؟!

وكيف ؟!

وما النتائج ، التى كادت تتجاوز الحدود ؟!

بل ما هى الحدود ؟!

ماذا كان يحدث فى المرة السابقة ؟!

لماذا يخيفهما إلى هذا الحد ؟!

ثم ألهذا علاقة بقبة الطاقة ، التى أحاطوا بها الفيلا ، والتى عزلتها تمامًا عن كل أنواع الطاقة أو الموجـات خارجها ؟!

أهذه وظيفتها حقًّا ؟!

أم أنها موجودة لتبقى شيئًا ما داخل حدود مغلقة ؟!

شىء موجود بالفعل ..

أو محتمل ..

ولكن أى شىء يمكن أن تطلقه تجارب تقوية اتصال ذهنى؟!

أى شىء يحتاج إلى حاجز طاقة ضخم لاحتوائه ؟!

أهو ذلك الشىء ، الذى هاجم (رمزى) ؟!

الشىء الذى كاد يقتله ؟!

بدا له الاحتمال منطقيًا ..

ومخيفًا ..

ويدفعه إلى إلقاء سؤال آخر ..

ما صلة ذلك الشىء الغامض ، بالاتصال الذهنى الفائق ، بين (محمود) و (رمزى) ؟!

أى سر يكمن هناك ..

فيما وراء العقل ..

وقدراته ..

واتصالاته ؟!

أى سر ؟!

توقفت أفكاره ، عندما سمع (فيليب) يسأله فى قلق :

ـ ماذا تفعل ؟! هل ستعيد التجربة ؟!

أجابه الدكتور (رالف) فى حزم :

ـ ادع الله أن يرغبوا فى هذا ..

قال (فيليب) فى عصبية :

ـ ولكنك لم تدرس بعد ما حدث فى المرة السابقة .

أجابه فى حسم :

ـ التكرار خير وسيلة للحسم .

هتف (فيليب) :

ـ خطأ .. خطأ ..

صاح به العالم فى غضب :

ـ كيف تجرؤ ؟! ربما أصبح عقلك أكثر تطورًا من ذى قبل ، ولكنه لم يبلغ بعد مقدار عبقريتى وذكائى ، حتى تحكم تصرفاتى .

سمع (نور) وقع أقدام (فيليب) العصبية ، وهو يقول :

ـ إننى أناقش نتائج فعلية .

وتعالى وقع الأقدام مرة ثانية ، و ...

ولكن مهلاً ..

إنه لا يأتى من الداخل هذه المرة ..

بل من خلفه ..

من خلفه تمامًا ..

وقبل أن تكتمل الفكرة فى رأسه ، انطلقت من خلفه زمجرة غاضبة ..

ثم أحاطت به ذراعان قويتان ..

وراحتا تعتصرانه ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ..

فمن المستحيل أن يكون الذراعان ، اللذان يكادان يسحقانه سحقًا ، ذراعى بشرى ..

من المستحيل تمامًا ..

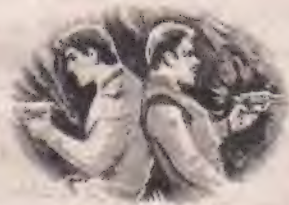
قفزت الفكرة إلى رأسه ، والذراعان تعتصرانه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى الموت .

* * *



واتسعت عينا (نور) عن آخرهما .. فمن المستحيل أن يكون الذراعان ، اللذان يكادان يسحقانه سحقا ، ذراعى بشرى ..

٥ ـ عيناه ..

« حمدًا لله على سلامتك .. » ..

ابتسمت (نشوى) فى حنان ، وهى تلقى عبارتها ، وتتحسس شعر أمها الناعم الطويل ، فابتسمت (سلوى) بدورها فى إرهاق ، وضمت وليدها إليها فى حب ، قائلة :

ـ هل رأيته ؟! هل رأيت (طارق) .. لقد أرادوا وضعه فى حجرة الأطفال ، طبقًا للقواعد والتعليمات ، ولكننى رفضت بإصرار .

غمغمت (نشوى) مبتسمة :

ـ أعلم هذا .

اغرورقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تزيح الغطاء عن وجه ابنها ، قائلة :

ـ انظرى كم يشبه أباه .. كم يشبه .. يشبه ..

أدركت (نشوى) ما تريد قوله ، فربتت على كفها فى حنان ، مغمغمة :

ـ مستقبله .

أدارت أمها عينيها إليها فى امتنان ، قائلة :

ـ بالضبط يا (نشوى) .. بالضبط(*) .

ثم عادت تنظر إلى الصغير فى حنان ، مستطردة :

ـ كم سيسعد والده بمولده .

والتفتت إليها مرة أخرى ، متسائلة فى لهفة :

ـ هل اتصلت به ؟!

كانت (نشوى) ترغب فى إبلاغها بمحاولاتها الفاشلة فى الاتصال بوالدها ، إلا أن الإرهاق المحفور على وجهها لم يكن يناسب هذا على الإطلاق ، فغمغمت ، محاولة رسم ابتسامة على شفتيها :

ـ ليس بعد ..

ثم أضافت بضحكة مفتعلة :

ـ الأفضل أن يجد المفاجأة فى انتظاره ، عند عودته .

قالت (سلوى) فى سعادة مرهقة :

(*) راجع قصة (الفارس الثانى) .. المغامرة رقم (١٢٠) .

- بالتأكيد .

وتحسست الصغير فى فرح وزهو ، قبل أن تقول :

- يا لها من مفارقة ؟! شقيقك سيصبح أصغر من ابنك .

ابتسمت (نشوى) مغمغمة :

- لا شىء فى عائلتنا يسير على النحو الطبيعى .

ضحكت (سلوى) ، قائلة :

- هذا صحيح .

ثم ضمت صغيرها إليها ، وأسبلت جفنيها فى إرهاق ، مضيفة :

- ولكن من المؤكد أن (نور) سيسعد كثيرًا بالمفاجأة ، عندما يعود من (الإسكندرية) سالمًا .

وافقتها (نشوى) بإيماءة مبهمة من رأسها ، وعقلها يتساءل : ترى هل سيعود الجميع من (الإسكندرية) سالمين بالفعل ؟!

هل ؟!

* * *

لدقيقة أو يزيد ، لم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، وهو يحدّق فى (رمزى) الذى بدا جامدًا كتمثال من الحجر ، مع تلك النظرة المركّزة المخيفة ..

نظرة تبدو وكأنها مدسوسة على عينيه الحانيتين ..

نظرة شيطانية ..

وأخيرًا تنحنح (أكرم) ..

تنحنح ليحطّم حاجز خوفه وتوتره ، قبل أن يقول فى عصبية ، لم يستطع إخفاءها :

- احم .. هل استيقظت أخيرًا .

ولم يجب (رمزى) ..

لم يبد حتى أنه قد سمع ما قاله زميله ..

بل ولم يكن حتى هناك ..

حيث يقف ..

وهذا ليس تعبيرًا بلاغيًّا ..

بل هو حقيقة ..

فعلى الرغم من أنه يقف أمام (أكرم) ، داخل تلك الحجرة الكبيرة ، إلا أن كيانه كله كان هناك ..

فى ذلك العالم الآخر ..

كان يسير فوق الرمال الزمردية الباردة ، وقلبه يخفق فى عنف ، وهو يتلفّت حوله بحثًا عنه ..

عن (محمود) ..

وفى ارتياع ، انتبه إلى أن الشموس الأربع لم تعد كما كانت ..

لم تعد متقاربة مجتمعة كذى قبل ..

فالشمس الأرجوانية اقتربت أكثر من الصفراء ..

والزرقاء والرمادية اتجهتا إلى الطرفين ..

وهتف (رمزى) مذعورًا :

ـ ربّاه ! إنها تبتعد ..

أتاه صوت حزين يقول :

ـ وتضيع معها فرصة العودة .

التفت إلى الصوت فى سرعة ولهفة ، ورأى تلك السحابة تتكوّن مرة أخرى ..

ولكن ليس بنفس القوة ..

أو بنفس الوضوح ..

صورة (محمود) كانت باهتة إلى حد ما ، وهو يشير إلى الشموس الأربع ، قائلاً فى مرارة :

ـ يبدو أن الوقت يمضى بأسرع مما نتصوّر .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ كم تبقّى أمامنا من وقت .

صمت (محمود) لحظة ، ثم أجاب ، وهو يتطلّع إليه بعينين ، حملتا كل حزن الدنيا :

ـ لست أدرى كم تبقّى من وقت هنا ، ولكن ..

هتف (رمزى) فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى مرارة :

ـ إنها تختفى ، مع مطلع الفجر فى عالمكم .

ثم عاد يرفع عينيه إليه ، مستطردًا :

ـ أعنى فى كوكبنا .

سأله (رمزى) فى انفعال :

ـ أى مطلع فجر ؟! وفى أى موقع من عالمنا .

أجابه (محمود) :

ـ حيثما تقف الآن .

تلفت (رمزى) حوله ، وقال فى عصبية :

ـ ما زالت أمامنا فرصة إذن .. يمكننا أن نستعيدك .

أجابه (محمود) فى حزن :

ـ كل دقيقة تمضى ، يضيع معها أمل كبير .

هتف (رمزى) :

ـ لا يجب أن نضيع ثانية واحدة إذن .

هزّ (محمود) رأسه ، وقال :

ـ كم أتمنى هذا يا صديقى .. كم أتمناه .

كان صوته يخفت ، وصورته تتلاشى ، فهتف (رمزى) :

ـ لا تذهب يا صديقى .. أرجوك .. لا ترحل .

قال (محمود) ، وصوته يبتعد :

ـ عد إلى عالمك يا صديقى .. واعمل على إنقاذى .. إنه جحيم هنا .. جحيم أبدى .

صرخ (رمزى) :

ـ لا تبتعد يا (محمود) .. أرجوك .

ثم انتفض جسده فى عنف ..

ومع انتفاضته ، تلاشى ذلك العالم من حوله بغتة ..

وتلاشت تلك النظرة المخيفة من عينيه ..

وفى دهشة يغلب عليها الذعر ، حدّق فى وجه (أكرم) ، الذى هتف :

ـ ربّاه ! هل عدت حقًّا ؟!

اندفع (رمزى) نحوه ، وأمسك كتفيه فى قوة ، قائلاً فى انفعال :

ـ أين (نور) ؟! أين الدكتور (رائف) ؟!

سأله (أكرم) فى حيرة متوترة :

ـ ماذا تريد منهما ؟!

هتف (رمزى) :

ـ لا يمكننا أن نضيع ثانية واحدة يا (أكرم) .. إنه هناك .. يعانى .. يتعذّب .. لابد أن نستعيده .. لا بد .

سأله (أكرم) مبهوتًا :

ـ من تقصد ؟! (محمود) ؟!

صاح (رمزى) :

ـ ومن غيره ؟!

ثم عاد يقول فى [illegible] حار :

ـ أين (نور) ؟! [illegible] بد أن نعيد التجربة .. وبأى ثمن .

هتف به (أكرم) فى صرامة :

ـ تلك التجربة كادت تقتلك يا رجل .

صاح (رمزى) فى حدة :

ـ حياتى لا تهم .

ثم ارتجفت شفتاه فى تأثُّر ، وهو يضيف :

ـ المهم أن يعود (محمود) .

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة مشفقة ، ثم أمسك كتفيه فى قوة ، وقال :

ـ اهدأ يا صديقى .. اهدأ .. سنبذل قصارى جهدنا ، ولكن ..

دفعه (رمزى) بعيدًا ، وهو يهتف :

ـ لا يوجد لكن .. لا بد أن نستعيد (محمود) بأسرع وسيلة ممكنة .. ليس أمامه الكثير من الوقت .

ثم انطلق يعدو خارج الحجرة ، صائحًا :

ـ (نور) .. دكتور (رائف) .. أين أنتما ؟!

اندفع (أكرم) خلفه ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ ماذا أصاب الجميع هنا ؟! هل أصابتهم عدوى الجنون ؟!

فى نفس اللحظة ، التى انطلقا فيها ، عبر ممرات وردهات الفيلا ، كان الحارس الضخم يعتصر (نور) بذراعيه القويتين ، فى قسوة صارمة ، وكأنما يحاول تحطيم أسطوانة من البلاستيك ..

وبكل قوته وخبرته ، راح (نور) يقاوم ..

كان ذراعاه مقيدين تمامًا ، ويده الممسكة بمسدسه تعجز عن توجيه فوهته إلى أى جزء من جسد العملاق ..

أما ساقاه وقدماه ، فقد ارتفعتا عشرة سنتيمترات عن الأرض على الأقل ، فراح يضرب بهما ساقى خصمه بكل قوته ..

ولكن (كاظم) لم يبد عليه التأثُّر ..
بل وحتى لم يتأوَّه ..
أو تتحرك قدماه قيد أنملة ..
تمامًا كما لو أن (نور) يركل جدارًا من الصخر ..
أو من الصلب ..
ثم فجأة ، ظهر (رمزى) ..
وخلفه (أكرم) ..

وبينما توقَّف الأوَّل مبهوتًا ، أمام ذلك المشهد ، ليهتف فى ذعر جمع كل توتره وانفعاله :
ـ يا إلهى !
واصل (أكرم) اندفاعه ، وهو يهتف فى غضب :
ـ أيها الوغد .

ثم وثب وثبة مدهشة ؛ ليتعلَّق بعنق (كاظم) ، مستطردًا :
ـ كيف تجرؤ على المساس بقائدنا ؟!

قالها ، ولكم الضخم لكمة كالقنبلة ، فى مؤخرة عنقه ..

لكمة تكفى لقتل ثور ثائر ..
ولكن الحارس المخيف لم يتزحزح ..
أو يتأوَّه ..
أو حتى يهتم ..

لقد واصل اعتصار (نور) بذراعيه ، فى قوة مخيفة ، حتى شعر هذا الأخير بضلوعه تئن ، وتوشك أن تتحطَّم ، و ...
« (كاظم) .. » ..

انطلق الهتاف فجأة ، فى دهشة وغضب وصرامة ، من بين شفتى الدكتور (رائف) ، الذى اندفع بمقعده المتحرك إلى خارج معمله ، إثر سماعة هتافات (أكرم) ، وتبعه مساعده (فيليب) ، الذى هتف فى غضب :
ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

صاح به (أكرم) ، وهو يلصق فوهة مسدسه بمؤخرة عنق (كاظم) ، ويجذب إبرته فى صرامة :
ـ مر هذا الغوريلا بإفلات (نور) ، وإلا أقسم أن أنسف رأسه بلا رحمة .

صاح الدكتور (رائف) فى عصبية :

ـ اتركه يا (كاظم) .

قبل حتى أن تكتمل صيحته ، وبطاعة مدهشة ، أفلت الحارس الضخم (نور) ، وتركه يسقط أرضًا ، ثم وقف منتبهًا فى احترام ، ينتظر أوامر سيده ..

وبألم وانفعال ، لهث (نور) ، وهو ينهض من سقطته ، فاندفع إليه (رمزى) ، وسأله فى جزع :

ـ أأنت بخير ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لو تأخرتما ثانية واحدة ، لهشّم هذا الغوريلا عظامى بلا رحمة أو هوادة .

هتف به (فيليب) فى غضب :

ـ ماذا كنت تفعل هنا أيها المقدّم ؟!

أجابه (نور) فى صرامة وصراحة :

ـ كنت أستمع إلى حديثكما .

انعقد حاجبا (فيليب) فى غضب هادر ، فى حين امتقع وجه الدكتور (رائف) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سأله (نور) فى صرامة :

ـ ماذا تخفون بالضبط يا دكتور (رائف) ؟!

أشاح الرجل بوجهه ، مجيبًا فى خفوت :

ـ ليس هذا من شأنك .

قال (نور) :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

صاح به (فيليب) :

ـ اسمع أيها المقدّم .. انتماؤك للمخابرات العلمية لا يعنى حقك فى أن تقتحم خصوصياتنا دون استئذان .

أدار (نور) عينيه إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ ما نوع التجارب ، التى تجرونها هنا ؟!

أجابه (فيليب) فى عصبية :

ـ ليس هذا من شأنك .

قال (نور) فى صرامة أكثر :

ـ يمكننى أن أجعله كذلك .. من الناحية الرسمية .

هتف (فيليب) فى تحد :

- افعل إذن ، أو ابتعد من هنا ، واتركنا لخصوصياتنا ، التى أتيتم لإفسادها بلا مبرر .

أجابه (رمزى) هذه المرة ، فى توتر شديد :

- بل لدينا مبررٌ قوى للغاية ..

ثم أضاف فى صرامة :

- نريد أن نستعيد رفيقنا .

غمغم الدكتور (رالف) فى عصبية :

- ومن أدراك أنه رفيقكم ؟!

سأله (أكرم) فى دهشة مستنكرة :

- ماذا تقصد بسؤالك السخيف هذا ؟! إنه رفيقنا بالتأكيد .. نحن نعرفه منذ زمن طويل .

أدار إليه العالم وجهه فى حدة ، هاتفًا :

- أنتم تعرفونه ، عندما كان هنا .

ثم لوّح بذراعه ، صائحًا :

- وليس هناك .

انعقد حاجبا (نور) دون تعليق ، فى حين سأله (رمزى) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

هتف الرجل ، فى عصبية زائدة :

- أعنى أنه لا شىء يبقى على حاله ، فى عالمنا هذا ، حتى مع استقراره النسبى .. كل شىء يتغيّر ويتبدّل ، مع تغير البيئة ، والمناخ ، والظروف الصحية والاجتماعية .. وحتى الاقتصادية .. شعوب كاملة تتحوّل من نظام شيوعى إلى رأس مالى .. ومن السلم إلى الحرب ، ومن الغنى إلى الفقر ، أو العكس بالعكس .. أشخاص كانوا يتمتعون بطيبة وحنان الدنيا كلها فى طفولتهم ، تحوّلوا إلى قساة أشرار فى كهولتهم ، أو العكس .. كل هذا يحدث فى عالم بسيط ، فما بالك بما يحدث هناك .. فى عالم آخر .. عالم ذى أربعة شموس .

قال (رمزى) :

- (محمود) هو (محمود) ..

قال العالم فى حدة :

- حقًا ؟! لماذا حاول قتلك إذن ، فى أثناء اتصالكما العقلى الأخير .

هتف (رمزى) :

- إنه لم يفعل هذا .

صاح به الدكتور (رالف) :

- بل فعل .. راجع ما سجله الكمبيوتر ، وستجد أن اتصالك العقلى به ظلّ هادئًا ، قبل أن تمتزجا بعضكما ببعض .

ارتفع حاجبا (نور) ، وهو يهتف :

- يمتزجا ؟!

لوّح الدكتور (رالف) بذراعه ، صائحًا :

- نعم .. يمتزجا .. ذلك الشىء هناك حاول اختراق عقله .

هتف (رمزى) :

- إنه ليس مجرّد شىء .. إنه (محمود) .. ثم إن هذه كانت الوسيلة الوحيدة ، لعبوره إلى عالمنا .. أن يأتى عبر عقل بشرى .

انعقد حاجبا (فيليب) فى شدة ، وهو يقول :

- أهو أخبرك بهذا ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة وانفعال :

- نعم .. هو أخبرنى هذا ، وحذّرنى من أنه أمامنا فقط حتى مطلع الفجر ، وبعدها لن يمكننا استعادته أبدًا .

احتقن وجه (فيليب) ، وهو يهتف :

- إنها خدعة واضحة .

صاح به (أكرم) فى صرامة :

- رفيقنا ليس مخادعًا يا هذا .

صاح (فيليب) فى غضب :

- ومن قال إنه رفيقكم ؟!

سأله (نور) فى اهتمام :

- من يمكن أن يكون إذن ؟!

استدار إليه فى حدة ، وكان يلقى جوابًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه فجأة ، وتراجع ليعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى صرامة :

ـ أى شىء .

التفت (رمزى) إلى الدكتور (رالف) وقال فى توتر :

ـ اسمع يا دكتور (رالف) .. ليس لدينا وقت لمناقشة الشكوك ، أو تبادل الاتهامات .. ربما تقومون هنا بتجارب سرية بالفعل ، وربما تتعارض أو تتفق مع الأمن القومى ، ولكن كل هذا لا يعنينى ، فى الوقت الحالى .. إنها الثانية صباحًا ، والفجر سينبلج فى الرابعة والنصف وخمس دقائق ، وهذا يعنى ضرورة أن نعمل فى سرعة ، لاستعادة زميلنا ، وإلا فقدناه إلى الأبد .

هزّ (فيليب) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا يمكننا أن نجازف .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ نحن أيضًا لا يمكننا أن نجازف ؛ فالثمن يعنى ضياع فرصة نادرة ، لاستعادة زميلنا ، الذى ضحى بكيانه من أجلنا مرتين .

أشاح الدكتور (رالف) بوجهه ، دون أن يجيب ، فى حين قال (فيليب) فى حدة :

ـ لا يمكننا احتمال النتائج مرة أخرى ، و ..

قاطعه (نور) فى تساؤل واهتمام :

ـ ماذا تعنى بمرة أخرى ؟!

انعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صلابة وعناد :

ـ لست أعنى شيئًا .

قال (نور) :

ـ المرء لا يمكن ألا يعنى شيئًا ، عندما يشير إلى وجود تجربة سابقة ، لأمر يزمع الإقدام عليه .

صمت (فيليب) لحظة ، أشاح العالم خلالها بوجهه أكثر وأكثر ، ثم قال فى صرامة وبرود :

ـ كنت أعنى ما أصاب زميلكم فى المرة السابقة .. لقد كاد يلقى مصرعه .. أليس كذلك ؟

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ أهذا ما تقصده حقًا ؟!

أجابه (فيليب) فى برود كالثلج :

ـ بالتأكيد .

أدار (نور) عينيه إلى الدكتور (رائف) ، وسأله فى حزم :

ـ أهذا صحيح يا دكتور (رائف) ؟!

لم يجب الرجل ..

ولم يدر عينيه إليه ..

ولكنه بدا وكأنه ينتحب ..

نعم .. ينتحب بلا دموع ، حتى إن (رمزى) قد شعر بشفقة وتعاطف تجاهه ، فوضع يده على كتفه ، قائلاً :

ـ دكتور (رائف) .

استمر النحيب لحظة أخرى ، قبل أن يدير الرجل إليهم وجهه ..

وجه شاحب ، ممتقع ، احمرت عيناه وزاغتا ، على نحو رهيب ..

وانعقد حاجبا (نور) أكثر وأكثر ، واتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى !

وفى صرامة تغلب عليها رنة عصبية ، قال (نور) :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

هتف (فيليب) :

ـ ليس هذا من شأنك أيها الـ ...

ولكن الدكتور (رائف) استوقفه بإشارة من يده ، وقال فى صوت حزين منكسر :

ـ كفى يا (فيليب) .. من حقهم أن يعلموا .

صاح (فيليب) :

- كلاً .. لا تفعلها .. ليس من حقهم أى شىء ..

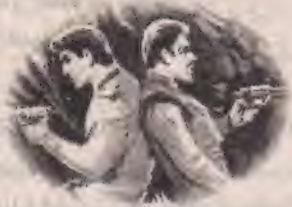
ولكنه تجاهل صيحته ، وهو يرفع عينيه المحمرتين إلى (نور) ورفيقيه ، قائلاً :

- سأخبركم .. سأخبركم كل ما حدث ..

وبدأ يروى قصة التجربة السابقة ..

التجربة الرهيبة .

* * *



٦ ـ القــرار ..

سطع البرق فى السماء ، وسط الأمطار المنهمرة فى غزارة ، فى تلك الليلة الطويلة ، من ليالى الشتاء ، وسعل الدكتور (رالف) مرتين ، وتنحنح فى توتر بالغ ، وهو يشير إلى جهازه ، قائلاً :

- كان هذا منذ شهر واحد ، عندما اكتمل جهازى (مايند ريليزر) ، وصار مؤهلاً للاستخدام ، ومعداً لإجراء أول تجربة علمية حول وسائل تقوية الاتصالات الفكرية .. ولكن المشكلة الوحيدة التى كانت تواجهنا ، هى من ؟! من سيخضع لأول تجربة ؟!

انعقد حاجبا (فيليب) ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يشيح بوجهه فى غضب ، والدكتور (رالف) يتابع :

- مشكلة تجارب الاتصال العقلى ، هى أنه من غير المجدى أن تجربها على فئران وحيوانات التجارب ،

إذ إن النتائج ليست مجرّد مؤشرات وتسجيلات كمبيوتر ، وإنما هى مشاعر وأحاسيس شخصية بالدرجة الأولى ، لا بد أن يشعر بها ، ويجتازها بشرى ، يمتلك الذكاء الكافى لإدراكها ، وشرحها ، وتفنيدها لو لزم الأمر .

ثم تنهّد فى عمق ، وصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- وهكذا اتخذت قرارى بإجراء التجربة على نفسى .

غمغم (فيليب) فى حنق :

- ولكن هذا لم يكن ممكنًا .

ثم أدار وجهه إليهم ، مضيفًا فى صرامة :

- لذا فقد تطوّعت أنا .

أومأ الدكتور (رالف) برأسه ، وقال بصوت حمل الكثير من التوتر والانفعال :

- وكانت تجربة رهيبة .

حاول أن يكمل ، ولكن انفعاله غلبه ، فسعل مرتين ، مما جعل (فيليب) يقول ، دون أن يفقد صوته حنقه وصرامته :

- فى البداية ، بدأت عملية بث موجات تقوية قدرات المخ ، وإطلاق طاقات العقل ، فى رفق وهوادة .

وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يتابع فى نشوة مدهشة ، وكأنما يستعيد اللحظات نفسها ثانية فثانية :

- شعور مدهش ، أن تتدفّق طاقة كهذه إلى عقلك .. شعور ممتع أن تدرك أنك تزداد قوة وكفاءة ..

وصمت لحظة ، ارتسمت خلالها ابتسامة نشوة على شفتيه ، وهو يتابع :

- أصبحت فجأة أمتلك قدرات عقلية ، لم أحلم يومًا بمجرّد الاقتراب منها .. أصبحت قادرًا على قراءة أفكار البعض ، والتقاط رسائل فكرية منهم ، والتأثير فى عقولهم ، وإيهامهم برؤية أمور خارقة للطبيعة .. بل وتحريك بعض الأجسام الخفيفة بعقلى وحده .

تمتم الدكتور (رالف) :

- ولكن هذا لم يدم طويلاً :

فمطَّ (فيليب) شفتيه ، وأشار بأصابعه ، قائلاً :

ـ خمسة أيام فحسب ، ثم راحت كل تلك القوى تتلاشى ، وتذهب ، وترحل .

ثم لوّح بذراعه ، هاتفًا فى مرارة :

ـ شعور سخيف ، لم يمكننى احتماله قط .. أى شخص فى الوجود لم يكن بإمكانه احتماله ، بعد أن ذاق القوة ، وتمتّع بما تدفعه فى جسده ، من نشوة وثقة .

قال (نور) فى بطء :

ـ لذا فقد كرّرت التجربة .

تألّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما ضاعفنا قوة البث أيضًا .. وراحت القوة تتدفّق إلى عقلى أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

وتلاشى بريق عينيه بغتة ، وارتجفت شفتاه ، مع استطرادته :

ـ ثم حدث ذلك الاتصال .

جذبت العبارة الأخيرة انتباههم بشدّة ، فتساءل (رمزى) فى توتر :

ـ أى اتصال ؟!

أجابه الدكتور (رائف) ، وهو يشير بيده فى عصبية :

ـ اتصال ذهنى فائق للغاية ، وثبت فى أثنائه المؤشرات كلها فى عنف ، حتى خُيّل إلىّ أن جهاز الكمبيوتر كله سينفجر فى وجهى ، ورأيت (فيليب) المسكين يتلوّى فى ألم ، وسمعته يطلق أبشع صرخة سمعتها فى حياتى .

عضّ (فيليب) شفتيه ، قائلاً فى مرارة ، وبصوت حمل ذكريات آلامه الرهيبة حينذاك :

ـ ذلك الشىء كان يمزّق كيانى كله ، ويخترق عقلى بلا رحمة أو هوادة ، وكأنما يسعى للسيطرة علىّ ، أو اختراق كينونتى إلى عالمنا .

سأل (نور) بأنفاس مبهورة :

ـ وماذا فعلتم عندئذ ؟!

هزّ الدكتور (رائف) رأسه ، وهو يجيب :

ـ نفس ما فعلتموه أنتم ، ولكن بصورة أخرى ..

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، مضيفًا بصوت مرتجف :

ـ لقد أنهيت برنامج الكمبيوتر .

عضَّ (فيليب) شفتيه فى توتر عصبى بالغ ، و (رمزى) يسأل :

ـ وماذا حدث عندئذ ؟!

غمغم (فيليب) :

ـ شىء لا يمكن تصوره .

ثم أشار بيده ، وتابع بصوت يحمل ذكريات مريرة :

ـ شعرت وكأن قبضة باردة كالثلج تعتصر مخى ، حتى تسيل منه قطرات حياتى ، ملتهبة كالحمم ، فيشتعل معها كيانى كله .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ أمن الضرورى أن تستخدم عبارة أدبية ، لوصف موقف كهذا ؟!

هز (فيليب) رأسه ، قائلاً :

ـ إنها ليست عبارة أدبية .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ هذا ما شعرت به بالفعل ،



ثم أشار بيده ، وتابع بصوت يحمل ذكريات مريرة :
ـ شعرت وكأن قبضة باردة كالثلج تعتصر مخى . .

تبادل (نور) و(رمزى) و(أكرم) نظرة متوترة ، و(فيليب) يضيف :

ـ وبعدها فقدت الوعى تمامًا ، لسبع ساعات كاملة .

تنهَّد الدكتور (رانف) ، وقال :

ـ النتيجة الإيجابية الوحيدة ، التى خرج بها من تلك التجربة الرهيبة ، هى أن تلك القدرات العقلية الخارقة ، التى أطلقها فيه (مايند ريليزر) ، ما زالت باقية ومستقرة ، حتى يومنا هذا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل حددتم نوع ذلك الاتصال الذهنى ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ ليس بصورة حاسمة .. كل ما نعرفه هو أنها قوة خارقة للمألوف ، ولديها قدرة على الاتصال ، تفوق كل ما خبرته طيلة عمرى .

التفت (نور) إلى (فيليب) ، قائلاً :

ـ وماذا عنك ؟!

سأله (فيليب) فى عصبية :

ـ ماذا عنى ؟!

سأله (نور) :

ـ ما الذى رأيته ، فى أثناء ذلك الاتصال العقلى الفائق ؟!

اتسعت عينا (فيليب) ، وهو يجيب ، فى صوت حمل رهبة الدنيا كلها :

ـ جحيم .

تمتم (أكرم) ، دون أن يدرى :

ـ رحماك يا ربى !

أما (فيليب) ، فتابع بصوت مرتجف :

ـ الرؤية انجلت أمامى لحظة واحدة ، لحظة رأيت خلالها جحيمًا رهيبًا .. عالمًا من النيران واللهب .. براكين ثائرة .. حممًا متدفقة ..

ثم أخفى وجهه بكفه ، مضيفًا :

ـ مشهد استغرق لحظة ، ولكن لا يمكننى محوه من ذاكرتى أبدًا .

حدّق الجميع فى وجهه صامتين لبعض الوقت ، قبل أن يتمتم (رمزى) :

ـ هذا يخالف ما رأيته تمامًا .

ثم التفت إلى الدكتور (رالف) ، متابعًا فى حزم :

ـ وربما يعنى هذا أن باستطاعتنا تكرار التجربة .

هتف الدكتور (رالف) :

ـ مستحيل ! إنها مجازفة خطيرة .

قال (رمزى) فى إصرار :

ـ التخلّى عنها أيضًا مجازفة خطيرة .

هزّ الدكتور (رالف) رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ لا يمكننى أن أحتمل مسئولية مصرعك .

قال (رمزى) :

ـ اطمئن .. (محمود) لن يؤذينى أبدًا ..

صاح الدكتور (رالف) :

ـ قلت لك : إنه من المحتمل ألا يكون زميلكم .

قال (أكرم) فى سرعة :

ـ ومن المحتمل أيضًا أن يكون هو .

أضاف (رمزى) :

ـ والوقت يمضى أسرع مما تتصوّر .

هتف (فيليب) :

ـ إنكم حمقى .

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ ولكننا مستعدون لبذل أرواحنا ، فى سبيل استعادة رفيقنا .

قال (فيليب) ، فى سخرية عصبية :

ـ ربما بذلتموها فى سبيل تدمير العالم .

ثم التفت إلى (نور) ، هاتفًا :

ـ لماذا تلوذ بالصمت أيها المقدّم ؟! أين رأيك ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ اعتدت أن أستمع أوّلاً إلى آراء الآخرين .

قال (فيليب) فى حدة :

ـ ولكنك قائدهم ، وإليك وحدك تعود مسئولية إصدار القرار .

أجاب (نور) بنفس الهدوء :

ـ بالتأكيد .

ثم أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ الواقع أن القرار ليس سهلاً كما تتصورون ، وهذا لا يتعلق بشكوك الدكتور (رانف) ، الخاصة بهوية (محمود) ، أو حتى بذعر السيد (فيليب) ، وخشيته من تكرار تجربته الرهيبة .. إنه يتعلق بمصير (رمزى) ، عند إجراء محاولة الاتصال الأولى .. لقد رأينا جميعًا ما أصابه ، حتى كادت روحه تزهق ، لولا إنهاء الاتصال على نحو مباغت .. وكل ما أخشاه ، وأحاول تفاديه بكل قوتى ، هو أن نستعيد زميلاً ، على حساب زميل آخر .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ أحدهما سيفوز على الأقل يا (نور) .

التفت إليه (نور) والآخرون فى تساؤل ، فتابع :

ـ حتى لو بذلت حياتى ، فى سبيل استعادة (محمود) ، وهذا ما أشك فى أنه سيسمح بحدوثه ، فسيكون هو

قد عاد إلى عالمه الأصلى ، وغادر ذلك الجحيم الأبدى ، فى حين انتهت حياتى أنا ، دون عذاب أو عار .. بل بشهادة فخر ، وإعلان صداقة ، يزهو به ابنى من بعدى .. أما لو تخلينا عن الأمر ، وتركناه يواجه كل ذلك العذاب ، فى عالم آخر ، فلن يهنأ لى العيش لحظة واحدة ، وسيظلّ كلانا فى عذاب بلا حدود .

قال (نور) فى حذر :

ـ ولكن اتصالنا السابق بزميلنا (محمود) ، لم يحمل أية إشارة منه للجحيم والعذاب !

قال (رمزى) فى حزم :

ـ ربما لم يكن قد شعر بهما بعد .

تمتم (أكرم) :

ـ ربما .

وبعد تمتمته ، ساد صمت رهيب فى المكان ..

وعلى كل الوجوه ، ارتسمت علامات تفكير عميق .. عميق إلى أقصى حد ..

وفى كل لحظة ، كان كل منهم يدير عينيه فى وجوه الآخرين ، وكأنما يبحث فيها عن جواب ..

او عن قرار ..

ثم كان (نور) أوَّل من قطع ذلك الصمت المهيب ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن .. سنقوم بالمخاطرة .

هتف (فيليب) فى سخط غاضب :

ـ حمقى .

ثم اندفع يغادر المعمل فى حنق ، فى حين غمغم الدكتور (رالف) :

ـ أتعشَّم أن يكون هذا هو القرار الصحيح .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إنه القرار الوحيد .

صمت الدكتور (رالف) بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن رفع رأسه إلى أعلى ، مغمغمًا بصوت مضطرب :

ـ أو هو القدر .. قدرنا جميعًا .

وسطع البرق مرة أخرى بوميض عجيب .. ورهيب ..

* * *

أمسكت (نشوى) سماعة هاتفها الخاص فى انفعال ، وهى تتحدث إلى (مشيرة محفوظ) ، زوجة (أكرم) ، قائلة :

ـ نعم .. إنها نائمة الآن يا (مشيرة) .. إنها بخير ، وكذلك (طارق) الصغير .. أتعشَّم ألا يكون (محمود) قد سبَّب لك أية متاعب .

أجابتها (مشيرة) فى حنان :

ـ مطلقًا .. إنه نائم كالملاك .. متى تعودين ؟!

قالت (نشوى) ، والتوتر يتقاطر من صوتها ولهجتها :

ـ لست أدرى .. هناك أمر يحتِّم ذهابى إلى مقر الفريق ، فى إدارة المخابرات العلمية .. سأحاول إنهاءه بسرعة ، والعودة إليك قبل السادسة صباحًا .

سألتها (مشيرة) فى قلق :

ـ هل حدث شىء ما ؟!

أجابتها (نشوى) ، محاولة إخفاء انفعالها .

كلاَّ .. إنه اتصال أحاول إجراءه فحسب .

أرادت (مشيرة) أن تسألها عن حقيقة الأمر ..
من باب الفضول الصحفي على الأقل ..
ولكن الظروف لم تكن أبدًا مناسبة لهذا ..
لذا فقد قالت في هدوء :

- فليكن .. عودي وقتما يحلو لك .. إنني أستمتع كثيرًا برعاية (محمود) الصغير .. ربما لأنني .. لأنني ..

قاطعتها (نشوى) :

- أعلم يا (مشيرة) .. أعلم ..

أنهت الاتصال ، وهو تقود سيارتها تحت الأمطار ، التي تنهمر في غزارة ليس لها من مثيل ، منذ عشر سنوات على الأقل ، حتى إن الشوارع والطرقات قد امتلأت بالمياه ، على نحو جعل (نشوى) تغمغم في توتر :

- أيمكن أن يكون هذا هو السبب ؟!

كانت تدرك جيدًا أن الاتصالات الرقمية الحديثة ، التي تعتمد على الأقمار الصناعية مباشرة ، لا يمكن

أن تتأثر بالأمطار والعواصف ، مهما بلغت غزارتها أو شدتها ، إلا أن عقلها القلق كان يبحث عن تعليل ..
أي تعليل ..
منطقي أو غير منطقي ..
المهم أن يرتاح عقلها ..
وأن تهدأ مخاوفها ..
ففي داخلها ، يتردد سؤال مفزع بلا انقطاع ..
ماذا أصاب زوجها ووالدها وزميلها ؟!
لماذا انقطعت الاتصالات بهم تمامًا ؟!
حتى هاتف فيلا الدكتور (رائف) لا يستجيب للنداء ..
لماذا ؟!
لماذا ؟!

بلغت مقر الفريق ، وذهنها منشغل بالبحث عن الأجوبة ، حتى جلست أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..
ثم بدأت عملها ..
كان عليها أن تبحث عن سبب انقطاع الاتصالات ..
بأية وسيلة كانت ..

لذا ، فقد لجأت أولاً إلى اختراق شبكة الاتصالات الرئيسية ، للبحث عن أية أسباب أو أعطال ، يمكن أن تؤدى إلى انقطاع الاتصال ..

ولكن كل شىء كان على ما يُرام ..

وهذا يعنى أن المشكلة تتعلّق بجهاز الاتصال الخاص بوالدها ..

ومن هذا المنطلق ، انتقلت إلى شبكة متابعة الأقمار الصناعية ..

وعلى الرغم من السياج الأمنى ، المقام حول تلك الشبكة ، فقد نجحت كخبيرة كمبيوتر فائقة فى اختراقها ..

ولكن حتى داخل شبكة الأقمار الصناعية ، كان كل شىء على ما يُرام ..

وفى قلق شديد ، غمغمت :

ـ ماذا حدث إذن ؟!

كل تلك النتائج الإيجابية كانت تضاعف من قلقها وتوترها ، وتجعلها أكثر ارتياعاً وتساؤلاً ، عما أصاب الجميع هناك ..

فى تلك البقعة المنعزلة ..

ثم قفزت إلى رأسها فكرة ..

فكرة جعلتها تتمتم :

ـ ولِمَ لا ؟!

وبكل همة ، راحت تحوّل الفكرة إلى واقع ..

على الرغم من صعوبتها ..

وخطورتها ..

فقد قرّرت أن تلقى نظرة على فيلا الدكتور (رائف عبيد) ..

عبر الأقمار الصناعية ..

ولأن هذا لا يمكن أن يتمّ ، دون تصريح أمنى خاص ..

ولأن الوقت لا يكفى للحصول على مثل هذا التصريح ، فقد قرّرت اختراق نظم الأمن الدفاعى ..

وهذا ليس بالأمر السهل ..

أو القانونى ..

ولكن من حسن الحظ أنها إحدى المشاركات فى وضع نظم الأمن الدفاعية الإليكترونية الخاصة ..

لذا فقد استغرق منها الاختراق ربع الساعة فحسب ..

وبعدها تمتمت :

ـ ها هو ذا .. كل ما علينا هو أن نحدّد الموقع المطلوب ..

بحثت فى الكمبيوتر عن عنوان الدكتور (رائف) ، ثم وجّهت أحد الأقمار الصناعية الخاصة بالمراقبة نحوه ..

وراحت تقترب بالمشهد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم انعقد حاجباها فى شدّة ، وهى تغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ففى نفس موقع الفيلا ..

ووسط الفناء الكبير ، لم تنقل أجهزة المراقبة المتطوّرة سوى دائرة ..

دائرة بيضاء ..

دون أية تفاصيل ..

على الإطلاق ..

* * *

« اهدأ يا سيّد (رمزى) .. حاول أن تهدأ .. »

نطق الدكتور (رائف) العبارة ، بأكبر قدر استطاعه من الهدوء ، وهو يعدّل مؤشرات جهاز (مايند ريليزر) ، ثم ينتقل إلى الكمبيوتر ، ويضرب أزراره ، مستطردًا :

ـ لا يمكن أن ينجح الاتصال بصورة جيّدة ، إلا لو استرخيت تمامًا ..

أومأ (رمزى) برأسه متفهّمًا ، فى حين قال (نور) فى توتر :

ـ أليس من المفترض أن يساعده جهازك على هذا ؟!

أجابه الدكتور (رائف) :

ـ التجربة السابقة تجعلنى أفضّل إدارة الجهاز ببطء ، وبث موجة إطلاق العقل فى هدوء ، رويدًا رويدًا ، حتى يمكننا تلافى أية ردود أفعال عنيفة ، أو نتائج غير متوقّعة .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ من المؤكّد أن هذا أفضل .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ المهم أن نسرع .. ليس لدينا الكثير من الوقت ..

أشار إليه الدكتور (رائف) ، قائلاً :

ـ استرخ يا سيِّد (رمزى) .. لا تشغل نفسك بعملية التشغيل .. نحن سنتولّى هذا .. كل ما عليك أنت هو أن تسترخى تمامًا ..

غمغم (رمزى) :

ـ سأحاول .

استرخى بالفعل على مقعد الجهاز ، بأفضل وسيلة أمكنه إياها ، وإن لم يهدأ عقله قط ، وهو يطرح على ذهنه عشرات الأسئلة ..

تُرى هل ستنجح التجربة هذه المرّة ؟!

هل سيتم الاتصال ، بنفس قوة المرة السابقة ؟!

وهل سيلتقى بـ (محمود) ؟!

والسؤال الأكثر أهمية هو : هل سيمكنه إعادته ؟!

أو معاونته على العودة على الأقل ؟!

ثم ما مصيره هو ؟!

ماذا سيصيبه هذه المرة ؟!

كيف سيواجه عملية الاختراق العقلى هذه ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

فى المرة السابقة شعر بكيانه كله يتمزّق ..

وبنيران تشتعل فى كل خلية من خلاياه ..

تُرى ماذا سيحدث هذه المرة ؟!

وأى عذاب سيواجه ؟!

ولكن كل هذا لا يهم ..

سيحتمل عذاب الدنيا كله ، من أجل عودة (محمود) ..

من أجل أن يخرجه من جحيمه ..

ويعيده إلى عالمه ..
حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها ..
« أأنت مستعد ؟! »

نطق الدكتور (رائف) العبارة ، فسرت موجة من التوتر ، فى جسدى (نور) و (أكرم) ، فى حين انتفض (رمزى) ، قبل أن يقول :
ـ مستعد .

أراد أن يضفى عليها إحساسًا بالثقة والقوة ، إلا أنها خرجت من بين شفتيه مرتجفة مذعورة ، اختلطت أحرفها ، وامتزجت نبراتها ..

وفى خفوت ، غمغم الدكتور (رائف) :
ـ على بركة اللّٰه ..
ثم ضغط الزر الأخير ..
وانتفض جسد (رمزى) مرة أخرى ..

انتفض ، فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها ذلك الوهج الوردى الباهت ، من خوذة الرأس ، ليغوص فى مخه مباشرة ..

وعلى الرغم من توتر وقلقه ، شعر (رمزى) بجسده يسترخى ..
ويسترخى ..
ويسترخى ..
كانت التساؤلات نفسها تدور فى رأسه ..
ولكن دون توتر ..
أو قلق ..
أو خوف ..
وكأنما لم يعد الأمر كله يعنيه ..
أو أنه لم يعد ينتمى إلى عالمه ..
لقد صار هناك ..

بين الرمال الفيروزية ، والسماء الوردية ، والشموس الأربع ، التى تباعدت بعضها عن بعض أكثر وأكثر ..
وبكل لهفة الدنيا ، هتف :
ـ (محمود) .. أين أنت يا (محمود) ؟!

كرّر نداءه عدة مرات ، وهو يتلفّت حوله فى قلق شديد ..

وما من جواب ..

وفى هلع ، استدار يلقى نظرة على الشموس الأربع ..

إنها لم تعد متجاورة ، كما كانت من قبل ..

لقد اتسعت الهوة بينها كثيرًا عن ذى قبل ..

كل واحدة منها استقلّت بمسار منفرد ..

ولكن هل يعنى هذا أن ..

توقّفت أفكاره ، وتلاحقت أنفاسه ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ لا .. مستحيل !

فطبقًا لما قاله (محمود) ، سيضعف الاتصال ، كلما تباعدت الشموس ..

وهذا يعنى أن فرصة استعادته قد ضاعت إلى الأبد ..

وبلا رجعة ..

* * *

٧ ـ الحدود ..

نهض القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية من خلف مكتبه ، ليصافح (نشوى) فى حذر واضح ، وهو يسألها :

ـ تُرى أية أسباب تلك ، التى جعلتك تطلبين مقابلتى فورًا ، فى الثالثة صباحًا ، فى طقس كهذا ؟!

أجابته فى توتر شديد :

ـ أبى .

سألها فى قلق :

ـ ماذا عنه ؟!

تنهّدت ، قبل أن تجيب فى توتر :

ـ إننى عاجزة عن الاتصال به .

سألها فى حذر أكثر :

ـ لماذا ؟! أين هو بالضبط ؟!

أجابت :



قاطعته فى عصبية :

ـ لقد حصلت عليها بطرق غير قانونية ..

ـ انظر .. هذه صور الأقمار الصناعية ، التى تم التقاطها منذ أقل من نصف الساعة لموقع فيلته .. هل ترى ما يبدو فى الصور ؟! مجرّد دائرة بيضاء .. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟!

ألقى القائد الأعلى نظرة على الصور بدوره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كيف أمكنك الحصول على هذه الصور ؟!

قالت فى عصبية :

ـ ليست هذه هى المشكلة الآن .

أجابها فى صرامة غاضبة :

ـ بل هى مشكلة المشاكل يا سيّدة (نشوى) .. المفترض أن هذه الصور تخصّ شبكة الأقمار الصناعية وحدها ، والحصول عليها يحتاج إلى تصريح منى شخصيًا ، وما دمت لم أصدر مثله ، خلال الساعات العشر الأخيرة ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ـ لقد حصلت عليها بطرق غير قانونية .

ـ فى (الإسكندرية) .

انعقد حاجباه ، وهو يتبادل نظرة متوترة مع الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث الجديد ، قبل أن يسألها :

ـ وماذا يفعل هناك ؟! أليس من المفترض أن يبلغنا بكل تحركاته ؟!

قالت فى توتر :

ـ لقد ذهب لاستشارة أحد العلماء هناك ، بشأن مشكلة يواجهها زوجى (رمزى) .

سألها الدكتور (جلال) :

ـ أى عالم ، وأية مشكلة ؟!

أخبرتهم بما لديها فى اختصار ، واستمعا إليها فى اهتمام قلق ، ثم عادا يتبادلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول الدكتور (جلال) :

ـ الدكتور (رائف عبيد) واحد من أكثر العلماء شهرة وبراعة ، فى علم الدراسات فوق النفسية ،

ولقد عمل لحسابنا بعض الوقت ، ثم آثر الاعتزال فى فيلته ، واستغلال ثروة أسرته فى إجراء تجاربه الخاصة .

سألت فى عصبية :

ـ وهل نحن على دراية بتلك التجارب ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس هذا من شأننا .. القانون لا يمنع أى شخص من إجراء تجاربه الخاصة ، ما دام هذا لا يتعارض مع أمن وسلامة المجتمع .

أضاف القائد الأعلى :

ـ ثم إنه ـ حسبما أعلم ـ يقيم فى منطقة منعزلة ، على الساحل الشمالى .

قالت فى شىء من الحدة :

ـ ولكن تجاربه ليست آمنة كما تتصوّرون .

سألها الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ ما الذى يدعوك لقول هذا ؟!

أجابته فى حزم عصبى ، وهى تناوله بعض الصور الرقمية :

كان ردُها فجًا ، يخلو من كل قواعد الذوق واللياقة ..

وحتى من قواعد الأمن ..

لذا فقد انعقد حاجبا القائد الأعلى ، فى غضب شديد ، وهو يقول :

- سيدتى .. إنك تتجاوزين كل الحدود .

هتفت فى انفعال :

- إننى مستعدة لتجاوز حدود حياتى نفسها ، لو أن والدى يواجه أى خطر هناك ، وكل ما يهمكما ، بعد أن بذل عمره كله من أجل وطنه ، هو مشروعية حصولى على بعض الصور من عدمها .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، ثم قال الدكتور (جلال) :

- هذه الصور توحى بوجود شىء ما ، يمنع وصول الإشارة اللازمة لالتقاط الصورة الرقمية .

هتفت :

- ذلك الشىء هو ما أتحدث عنه ، وما أخشاه ، دون أن أدرك ماهيته بالضبط ، خاصةً وأن والدى هناك ، داخل تلك الدائرة البيضاء .

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، وهو يطالع الصور مرة أخرى ، قبل أن يقول فى اهتمام :

- تلك الدائرة البيضاء تفسّر أيضًا سبب انقطاع اتصالك بالمقدّم (نور) ، ما دام داخلها كما تقولين ، فالنظرية نفسها ، التى تمنع التقاط الصور الرقمية ، هى المسئولة عن انقطاع الاتصالات الرقمية أيضًا .

هتفت مذعورة :

- وهذا يعنى أن أبى وزوجى و(أكرم) فى خطر .

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً فى حدة :

- أى خطر ؟! الدكتور (رائف عبيد) رجل مسالم للغاية ، وهو مقعد منذ زمن طويل ، ولم يجر فى حياته كلها أية تجارب ، تحمل أدنى درجة من الخطر .

تابع الدكتور (جلال) :

- هذا صحيح يا سيدتى .. ربما استخدم وسيلة ما ، أدت إلى انقطاع الاتصالات ، وفشل الأجهزة الرقمية فى التقاط صور فيلته ، ولكن هذا لا يعنى وجود أى نوع من الخطر .

زاغت عيناها فى حيرة ، وهى تدير بصرها بينهما ، ثم لم تلبث أن تركت جسدها يسقط ، على أقرب مقعد إليها ، ودفنت وجهها بين كفيها ، وقالت منتحبة :

- ولكننى أشعر بهذا .

هتف القائد الأعلى مستنكرًا :

- تشعرين ؟!

ثم استطرد فى غضب صارم :

- كيف يمكن أن تكونى عضوًا فى أفضل فريق علمى لدينا ، وأنت تفكرين بهذا الأسلوب ؟! أتوقظيننا فى الثالثة بعد منتصف الليل ، وتحضريننا إلى هنا ، فى أسوأ طقس شهدته البلاد ، خلال السنوات العشر الأخيرة ، لأنك تشعرين أن رفاقك فى خطر ؟!

تشعرين فحسب ؟!

أجابت فى حدة :

- إنهم ليسوا زملاء عمل فحسب .. من تتحدث عنهم هم أبى ، وزوجى ، وأفضل رفيق لنا ، ولو أنك عملت فى فريق ، لفترة طويلة من الزمن ، وشاركت أفراده الأحداث والمخاطر ، وواجهت معهم الموت مرات ومرات ، من أجل إنقاذ عالم بأكمله ، لأدركت أن المشاعر تحمل عندئذ معنى مختلف ، يفوق ما يمكن أن تحمله أية مشاعر عادية .. إنها تتحول إلى نوع من الغريزة المتطوّرة ، التى تربط أفراد العمل الواحد بعضهم ببعض ، حتى ليستيقظ أحدهم من نومه قلقًا ذات يوم ، ليكتشف أن زميله كان يواجه قلقًا فى اللحظة نفسها ، فى بلاد تبعد عنه آلاف الكيلومترات .

تمتم الدكتور (جلال) :

- لا يوجد دليل علمى على هذا .

شد القائد الأعلى قامته ، وهو يقول فى حزم :

- ولكننى أؤمن به .

خفق قلب (نشوى) فى قوة ، وهو يلتفت إليها ، متابعًا بنفس الحزم :

ـ ولذلك فسنتخذ كل الإجراءات الطبيعية ، فى حالة الشك فى وجود خطر ما ، يواجه أحد رجالنا .. ولكن ليس على نحو مباشر ؛ فالدكتور (رائف) واحد من العلماء المعدودين فى (مصر) ، وأحد الحاصلين على جائزة (نوبل) ، عن أبحاثه الخاصة بالمخ البشرى وحدود قدراته الفائقة ، ولن يمكننا أن نقتحم فيلته ، دون تصريح رسمى وقانونى .

سألته فى ذعر :

ـ ولكن ماذا لو أنهم يواجهون الخطر بالفعل ؟!

أجابها الدكتور (جلال) :

ـ سنستخدم وسائلنا الخاصة أولاً ، وسنحاول التقاط بعض الصور للفيلا ، باستخدام الوسائل التقليدية المباشرة ، لنعرف ما الذى يدور هناك بالضبط ، ويمنع أجهزة الأقمار الصناعية الرقمية من التقاط صور الفيلا .

قال القائد الأعلى :

ـ وفى الوقت نفسه ، سنرسل اثنين من عملائنا إلى هناك ، لمراقبة الفيلا ، ورصد ما يدور حولها وداخلها بقدر الإمكان ..

ثم التقى حاجباه فى حزم صارم ، وهو يضيف :

ـ وسنثبت للجميع أننا قادرون على حماية رجالنا .. بكل وسيلة ممكنة ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ أو غير ممكنة .

وخفق قلبها مرة أخرى ..

فى عنف ..

* * *

« مستحيل ! لا يمكن أن نستسلم لهذا أبداً .. »

هتف (رمزى) بالعبارة ، فى عصبية بالغة ، وهو يتحرك داخل معمل الدكتور (رائف) ، الذى قلب كفيه فى حيرة ، قائلاً :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل .. الوقت مضى كما تقول ؟!

وقال (نور) فى توتر :

ـ اسمع يا (رمزى) .. لقد فعلنا كل ما يوسعنا ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حدة :

- كلا .. لن نستسلم .
ثم لوّح بذراعيه فى قوة ، هاتفًا :
- لا يمكن أن نتركه هناك .. وحيدًا ، معذّبًا ..

واندفع يمسك كتفى (نور) فى قوة ، متابعًا فى انفعال :

- لقد اتصل بى يا (نور) .. لقد ناشدنى أن ننقذه من عذابه ، ونخرجه من أسره .. لا يمكن أن نتخلّى عنه يا (نور) .. لا يمكن .

اغرورقت عيناه بالدموع ، من فرط الانفعال ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، فغمغم (أكرم) :
- إنه على حق يا (نور) .
وقال (فيليب) فى حنق :
- أنتم لا تدركون ما أنتم مقدمون عليه .
وتنهّد الدكتور (رالف) ، قائلاً :
- ثم إنه ليس لدينا ما نفعله .
التفت إليه (رمزى) فى حدة ، قائلاً :
- بل لدينا .

ثم أشار إلى جهاز (مايند ريليز) ، مستطردًا :
- يمكننا أن نزيد من قوة الجهاز .
اتسعت عينا (فيليب) ، وهو يهتف فى ارتياع :
- لا .

وارتجف جسده كله ، فى انفعال جارف ، وهو يضيف :
- هذا سيقودكم إلى الكارثة .
صاح به (رمزى) :

- أية كارثة ؟! إننا نحاول إنقاذ زميلنا ، والوقت يمضى بسرعة مخيفة ، والحذر لم يفدنا قط ، فكل ما فعله هو أن أضاع منا فرصة ثمينة ، ووقتًا أكثر أهمية .. دعنا نلقِ كل الحذر والمخاوف جانبًا ، ونمضى فى طريقنا .. إنه زميل عمرنا .. ألا يمكنك أن تفهم هذا ؟!
صاح به (فيليب) :

- ألا يمكنك أنت أن تدرك وجود احتمال ، ولو ضئيل ، بأنه ليس زميلكم .

قال (أكرم) فى عصبية :

- لا يمكننى الاقتناع بهذه النظرية السخيفة .

غمغم الدكتور (رالف) :

- ليست سخيفة كما تتصوّر .

أجابه فى حدة :

- بل أسخف مما تتصوّر .. إنه زميلنا نحن ، ولا أحد فى الدنيا يمكنه معرفته سوانا ، وما دام (رمزى) قد رآه ، وتعرّفه ، فلا يوجد احتمال واحد بألا يكون هو .

أدار الدكتور (رالف) مقعده إليه ، وقال :

- ما نراه ليس هو الحقيقة دائمًا يا سيّد (أكرم) ، وإلا ما وجد الحواة والسحرة رزقهم ، فأنت ترى على المسرح رجلاً يطير ، وامرأة تنقسم إلى نصفين ، كلاهما يتحرك ويحيا ، وثالث تشتعل فيه النيران ، وهو يبتسم فى هدوء ، وعلى الرغم من أن عينك ترصد كل هذا جيّدًا ، إلا أنه مجرّد وهم وخداع .

قال (أكرم) فى حزم :

- (محمود) لم يكن أبدًا حاويًا أو دجّالاً .

أجابه الدكتور (رالف) :

- بالتأكيد .. ولكن ماذا لو أن ذلكَ الشىء ، فى العالم الآخر ، ليس هو (محمود) الحقيقى ، ولكنه يجيد التخفى والإيهام والخداع ، بحيث يبدو أشبه بزميلكم .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ولماذا ؟!

لوّح بيده ، مجيبًا :

- ليجد وسيلة للعبور إلى عالمنا .

سأل (نور) فى حزم :

- مازال السؤال نفسه ساريًا .. لماذا ؟! لماذا يسعى لإيجاد وسيلة ، للعبور إلى عالمنا ؟!

صمت الدكتور (رالف) طويلاً ، وتبادل نظرة متوترة مع مساعده ، الذى أشاح بوجهه فى حنق ، فهزّ العالم رأسه ، وتمتم :

- من يدرى ؟!

رمقه (نور) بنظرة طويلة ، ثم شدّ قامته ، قائلاً :

ـ ما دام لا أحد يدرى ، فهذا يعنى ، من الناحية العلمية ، أنه لا يوجد سبب واحد ، يمنعنا من تكرار المحاولة .

هتف (رمزى) :

ـ باستخدام موجة أكثر قوة .

انعقد حاجبا الدكتور (رانف) ، وهو يقول :

ـ ستكون مجازفة رهيبة .

تبادل (نور) و(أكرم) و(رمزى) نظرة سريعة ، ثم قال الأول فى حزم :

ـ إننا نقبلها .

هتف (فيليب) :

ـ أنتم حمقى .

استدار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ قل لى يا سيد (فيليب) : هل تعلم شيئًا لا نعلمه ، أم أنك تهوى اتهام الناس بالغفلة والحماقة فحسب ؟!

هتف (فيليب) محنقًا :

ـ أنتم لا تدركون ما أنتم مقدمون عليه .

قال (أكرم) فى تحد :

ـ أخبرنا إذن ، أو الزم الصمت تمامًا .

انفرجت شفتا (فيليب) وبدا لحظة وكأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، واندفع نحو باب الحجرة ، ولم يكد يتجاوزه حتى هتف :

ـ حمقى .

وصفق الباب خلفه فى عنف ..

ولثوان ، ران على الحجرة صمت مطبق ، حتى قطعه الدكتور (رانف) ، وهو يدير عينيه إلى حارسه الخاص ، قائلاً :

ـ فليكن .. سيكون عليك أن تراقب مؤشرات الطاقة يا (كاظم) ، ما دام (فيليب) قد قرّر الانسحاب .. لا يمكننى زيادة شدة الموجات ، دون مراقبة المؤشرات .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ هل ستعتمد على هذا الغوريلا ، فى عمل دقيق كهذا ؟!

ابتسم الدكتور (رائف) ، قائلاً :

- ألم أقل لك إن الظواهر خادعة أحيانًا يا سيد (أكرم) ؟!

ثم سأل (كاظم) في هدوء :

- ما حاصل ضرب ألف وأربعمائة وعشرة ، في ستة آلاف وسبعة وخمسين .

اتجه الضخم في هدوء ، نحو لوح أبيض كبير على الجدار ، وكتب :

- ثمانية ملايين ، وخمسمائة وأربعون ألفًا ، وثلاثمائة وسبعون .

ابتسم الدكتور (رائف) ، وقال :

- هل رأيت ؟! يمكنك أن تراجع الناتج بنفسك .. ويمكنك أيضًا أن تطرح عليه أية معادلة رياضية معقدة ، وسيمنحك الجواب في لحظة واحدة .

قال (نور) ، وهو يرمق (كاظم) بنظرة متوترة :

- وهو يحتمل أقوى الضربات أيضًا ، دون أن يبدو عليه أدنى تأثر .

والتفت إلى الدكتور (رائف) ، مضيفًا في حزم :

- إنه شخص آلي .. أليس كذلك ؟!

ابتسم الدكتور (رائف) ، وقال لحارسه :

- تعال يا (كاظم) .

اتجه الضخم نحوه في طاعة تامة ، فأمسك يده ، والتقط أداة حادة رفيعة ، وغرسها في إصبعه ، ثم سحبها ، وقال :

- انظر أيها المقدم .. إنها دماء الحياة ، تتدفق من جسده .. هل رأيت في حياتك كلها شخصًا آليًا بهذه الحياة ؟!

انعقد حاجبا (نور) في دهشة ، في حين قال (أكرم) في توتر :

- عجبًا ! كيف يحتمل كل هذا إذن ؟!

أجابه الدكتور (رائف) :

- لهذا قصة طويلة ، لا وقت لدينا لنقصها الآن .

ثم التفت إلى جهاز الكمبيوتر ، وراح يضرب أزراره ، مضيفًا :

- ربما فيما بعد .

قالها ، وهو يستعد لتنفيذ ما طلبه (نور) و (أكرم) و (رمزى) ..

وما رفضه (فيليب) فى شدّة ..

يستعد لإتمام الاتصال الخارق ..

والأخير ..

* * *

« السيول غمرت المنطقة تمامًا .. »

غمغم رجل المخابرات العلمية بالعبارة ، وهو يوقف سيارته ، على جانب الطريق ، المؤدّى إلى فيلا الدكتور (رالف) ، ويهزّ رأسه فى أسف ، متابعًا :

- لن يمكننا بلوغ المكان بسيارة أبدًا .

انعقد حاجبا زميله ، وهو يقول :

- ولكن الأوامر صريحة .. لا بد أن نرسل تقريرًا عاجلاً ، حول ما يحدث داخل الفيلا .

أشار رجل المخابرات بيده ، قائلاً :

- هل تقترح شيئًا ما ؟!

تطلّع زميله إلى الطريق ، الذى غمرته السيول ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .. ربما ..

قال الأوّل فى ضجر :

- ربما ماذا ؟!

تردّد لحظة ، ثم أجاب :

- ربما لو استعنا بهليوكوبتر .

هتف الأوّل :

- فى هذا الطقس ؟!

هزّ الثانى رأسه ، قائلاً فى حيرة :

- ماذا سنفعل إذن ؟!

عاد الأوّل يدير محرّك السيارة ، وهو يقول :

- أوّل ما نفعله هو أن نبتعد عن هنا ، قبل أن تغلق علينا السيول طريق العودة ، ثم نبلغ القيادة بالموقف ، و ...

وانطلق بالسيارة ، متابعًا فى حزم :

- وننتظر قرارهم .

« الموقف أسوأ مما كنا نتصوَّر .. »

غمغم القائد الأعلى بالعبارة ، وهو يراجع تقرير رجاله ، قبل أن يرفع عينيه إلى (نشوى) ، قائلاً :

- المنطقة معزولة تمامًا ، بسيول عنيفة ، تفوق كل المتوقَّع ، فى مثل هذا الوقت من العام .

هتفت فى توتر :

- لا يمكن أن نستسلم لهذا .

ربَّت الدكتور (جلال) على كتفها مهدئًا ، وهو يقول :

- إنها الطبيعة يا بنيتى .. الشىء الوحيد الذى لايمكن لكل تكنولوجيا الأرض أن تواجهه .

هتفت :

- هناك وسيلة حتمًا ، لبلوغ تلك الفيلا .. أو الاتصال بها على الأقل .

قال الدكتور (جلال) :

- لقد حاولنا إتمام الاتصال ، بعدة وسائل متطوِّرة ، ولكن يبدو أن الطقس أيضًا يشترك ، مع تلك الظاهرة

المجهولة ، فى منع وقطع كل أنواع الاتصالات تمامًا .. أما بالنسبة للوصول إليها ، فهذا أكثر صعوبة ، إذ لاتوجد سوى وسيلتين .. إما السيارة أو الهليوكوبتر ، والسيول تمنع وصول الأولى ، فى حين من المستحيل أن تحلِّق الثانية ، فى طقس رهيب كهذا .

قالت فى مرارة :

- هل سنجلس وننتظر إذن ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلاَّ بالطبع .. لقد استخدمنا الأقمار الصناعية نفسها ، لالتقاط بعض الصور الضوئية العادية للمكان ، وقمنا بتكبيرها مائة مرة .

سألته فى لهفة :

- وهل وجدتم شيئًا ؟!

عاد يهزّ رأسه نفيًا ، ويقول :

- كل شىء يبدو عاديًا جدًا .

هتفت :

ـ مستحيل ! عجز آلات التصوير الرقمية عن التقاط الصور للمكان ، يعنى وجود شىء ما حتمًا .

ضغط زر جهاز العرض ، وهو يقول :

ـ يمكنك فحصها بنفسك .. ها هى ذى .

بدت الصور أمامها بحجم ضخم ، للفيلا والفناء المحيط بها ، والقائد الأعلى يقول فى اهتمام :

ـ الدكتور (جلال) على حق .. كل شىء يبدو عاديًا ..

راحت تفحص الصور فى اهتمام متوتر :

ـ وخفق قلبها فى عنف ..

إنهما على حق ..

كل شىء يبدو عاديًا ..

صحيح أن مساحة الفيلا صغيرة جدًا ، بالنسبة للفناء المحيط بها ، والذى غمرت المياه معظمه ، وحولته إلى ما يشبه بحيرة صناعية كبيرة ..

ولكن فيما عدا هذا ، يبدو كل شىء طبيعيًا جدًا ..

وفى هدوء ، قال الدكتور (جلال) :

ـ يبدو أننا قد بالغنا كثيرًا فى مشاعرنا ، و ...

« مهلاً .. »

هتفت بالكلمة تقاطعه ، وهى تتجه نحو بقعة بعينها من الصورة المعروضة ، وتميل نحوها أكثر ، فتطلع إليها الرجلان فى اهتمام وتساؤل ، قبل أن تهتف ، وهى ترسم بسبابتها مربعًا وهميًا على الصورة :

ـ هل يمكنك تكبير هذا الجزء أكثر ؟!

أجابها الدكتور (جلال) ، وهو يضغط أحد الأزرار :

ـ بالتأكيد .

تضاعف حجم الصورة مرتين ، وامتلأت شاشة العرض ، بالجزء الذى طلبت (نشوى) تكبيره ، فانحنت تفحصه باهتمام أكبر ، قبل أن تسأل :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

تطلع الرجلان إلى حيث أشارت ، وقال الدكتور (جلال) :

ـ تبدو لى أشبه برءوس أعمدة .

قالت (نشوى) فى سرعة :

- ولكنها تضىء على الأرجح .

قال القائد الأعلى :

- يبدو لى هذا .

نقلت سبابتها ، من جزء إلى آخر ، قائلة :

- إنها تصنع ما يشبه الدائرة .. بل هى دائرة بالفعل ، تحيط بالفيلا ، وكل منها تبعد عن الأخرى بمسافة منتظمة .

غمغم الدكتور (جلال) فى اهتمام :

- هذا صحيح .

سألته فى انفعال :

- هل يمكن أن نطابق الصور الرقمية للأقمار الصناعية بهذه الصورة ؟!

أجاب فى حماس ، وقد فهم ما ترمى إليه :

- بالتأكيد .

عرض إحدى صور الأقمار الصناعية الرقمية ، عبر جهاز آخر ، واستخدم التكبير نفسه ، ثم سعى لمطابقته الصورتين ، بعضهما على البعض ، فهتفت (نشوى) :

- ربّاه ! انظرا .. الدائرة البيضاء تنطبق على محيط رءوس الأعمدة بالضبط .

قال الدكتور (جلال) فى انفعال مماثل :

- هذا صحيح .. إذن فتلك الأعمدة هى المسئولة عن انقطاع الاتصال .

هتفت :

- بالضبط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتابع حديثهما ، قبل أن تلتفت إليه (نشوى) ، قائلة :

- أرأيت يا سيّدى .. هاك هو الدليل ؟!

سألها فى صرامة :

- الدليل على ماذا ؟!

أجابت فى انفعال :

- الدليل على وجود الخطر .

قال فى غضب :

- أى خطر ؟!

بُهتت لغضبه المباغت ، وغمغمت :

- الخطر الذى ..

قاطعها فى صرامة :

- الدليل الوحيد ، الذى يمنحنا إياه تطابق الصور ، هو وجود جهاز ما ، أو شىء ما ، يخصّ الدكتور (رائف) ، ويمنع التقاط الصور الرقمية ، أو انتقال إشارات الاتصالات ، وهذا أمر قد يكون غريبًا ومريبًا ، بالنسبة لأى شخص ، ولكن ليس مع عالم جليل ، يحمل أكثر الملفات نطاقة ، فى إدارة البحث العلمى ، ويجرى تجارب خاصة ، حول تطوير القدرات العقلية .

ثم لوّح بيده فى حدة ، مستطردًا :

- والشىء الذى ينبغى أن تعلميه ، هو أننا نتابع تجارب الدكتور (رائف) منذ البداية .

هتف الدكتور (جلال) فى ارتياع :

- سيّدى .

استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة محتدّة :

- دعها تعلم يا دكتور (جلال) .. هذا من حقها ، كواحدة من أفضل خبيرات الكمبيوتر لدينا ، وكعضو فعّال ، فى أنشط فريق علمى فى الإدارة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى توتر ، فى حين اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تقول فى ارتياع :

- تتابعونها منذ البداية ؟! هل تعنى أنكم ..

قاطعها فى صرامة :

- نعلم بأمر انقطاع الاتصالات .. نعم يا سيّدتى .. نحن نعلم .. أو بمعنى أدق .. أنا أعلم أن الاتصالات كلها تنقطع عن الفيلا ، عندما يجرى الدكتور (رائف) بعض تجاربه .

هتف الدكتور (جلال) بدهشة حقيقية ، توحى بأنه لم يكن يعلم هذا من قبل :

- ربّاه ! ولماذا لم يخبرنى أحد ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- المفترض ألا يعلم بمثل هذه الأمور سوى القائد الأعلى ، ومدير مركز الأبحاث العلمية ، والمسئولين

المباشرين عن متابعتها فحسب ، وسلفك كان على دراية كاملة بهذا الأمر ، أما أنت فقد تسلّمت عملك منذ فترة قصيرة ، ولم تتح لك الفرصة بعد ، للاطلاع على كل التفاصيل الخاصة .

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ يبدو هذا بالفعل .

أما (نشوى) ، فتساءلت فى حيرة :

ـ ولكن لماذا قطع الاتصالات ؟!

واجهها القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هل تدركين حقًا مدى أهمية وخطورة تلك التجارب ، التى يجريها الدكتور (رانف) ، حول تنمية القدرات الخارقة للعقل البشرى ؟! هل يمكنك تصوّر ما يمكن أن يحدث ، لو نجحت أفكاره الجامحة هذه ، وتحولت إلى حقيقة واقعة ؟! حاولى إذن أن تتخيلى جيشًا من الرجال ، القادرين على تحريك أسلحة عدوهم عن بعد ، أو فريقًا من رجال المخابرات ، لديهم القدرة على

قراءة أفكار الخصم ، وتجاوز أسوار وأسرار عقله ، أو جاسوسًا متطورًا ، بتلك القدرة على السيطرة على عقول الآخرين ، وتوجيههم لفعل كل ما يحلو له ؟!

اتسعت عيناها عن آخرهما ، فتابع فى صرامة :

ـ هل أدركت أى سلاح يمكن الحصول عليه ، لو نجحت تلك التجارب ؟! وهل يمكنك أن تدركى كم يمكن أن تدفع أية دولة فى العالم ، للحصول على سلاح كهذا ؟!

غمغمت :

ـ إذن فأنتم تحمون تجاربه .

أجاب فى حزم :

ـ ونؤمّن لها السرية ، أيضًا يا سيدتى .

هتفت :

ـ الدكتور (رانف) إذن ما زال يعمل لحسابكم .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. إنه حتى لا يدرك أننا نتابع تجاربه .

هتفت بدهشة بالغة :

- كيف ؟!

أجاب فى صرامة :

- هذا شأننا .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى ضيق لبعض الوقت ، ثم لم يلبث أن غمغم :

- أتعشم أن يهدئ هذا من مخاوفك .

التفتت إليه ، قائلة فى حدة :

- على العكس .. ما قاله سيادة القائد الأعلى ، يضاعف من احتمالات مواجهة والدى للخطر .

واكتسب صوتها صرامة شديدة ، وهى تضيف :

- فكما قلت يا سيدى .. أية دولة فى العالم يمكن أن تفعل المستحيل ، للاستيلاء على سلاح كهذا .

أجابها القائد الأعلى ، فى صرامة أكثر :

- مازلنا عاجزين عن بلوغ الفيلا ، أو الاتصال بها ..

وصمت لحظة ، ثم تابع :

- ربما بعد شروق الشمس .

هزّت رأسها فى قوة ، وهى تقول فى مرارة :

- من يدرى ماذا يمكن أن يحدث ، قبل أن تشرق الشمس ؟!

نعم يا (نشوى) ..

من يدرى ؟!

* * *





تحرك (فيليب) في حجرته في عصبية شديدة ، واحتقن وجهه في شدة ، وهو يندفع نحو أحد الجدران ، ويضربه بقبضته في حنق ..

٨ ـ كل الخطـر ..

تحرك (فيليب) فى حجرتـه فـى عصبيـة شديدة ، واحتقن وجهه فـى شـدة ، وهـو يندفـع نحـو أحـد الجدران ، ويضربه بقبضته فى حنق ، هاتفًا :

ـ أغبياء .

ثم استطرد فى ثورة :

ـ لا يدركون ما هم مقدمون عليه .

تحـرك مرة أخرى فـى عصبيـة زائدة ، ثـم ألقـى جسده على فراشه ، قائلاً فى لهجة أقرب إلى الألم :

ـ سيفتحون أبواب الجحيم على مصراعيها .

وعضّ شفتيه فى مـرارة ، وهـو يسترجع ذكريات تجربته ..

تلك التجربة الرهيبة ..

الذكريات التى لم يروها لأحد قط ..

حتى لأستاذه الدكتور (رائف عبيد) ..

وهو لم يدر حتى لماذا لم يفعل ؟!

لماذا احتفظ بها سرًا يؤرقه ويعذبه ، حتى هذه اللحظة ؟!

أهو خوفه من أن يتوقّف الدكتور (رائف) عن تجاربه ، لو علم حقيقة ما حدث فيها ؟!

أم أهى رغبته فى الحفاظ على وسيلة مستقبلية ، للإبقاء على قدراته العقلية المتطوّرة ؟!

لا يمكن أن يحتمل فقدها مرة أخرى ..

لا يمكن أن يحتمل ضياع القوة ، بعد أن استمتع بها ، وشعر بسريانها فى عروقه ..

وفى عقله ..

لا يمكن ..

لا يمكن ..

ولكن هل يجازف مرة ثانية ؟!

هل يلقى نفسه فى ذلك الجحيم ، لاستعادة قوة ما ؟!

أية قوة ؟!

وفى توتر بالغ ، أغلق عينيه ، وترك لذكرياته العنان ..

كل شىء كان هادئًا ، فى المرة الأولى ..

لهذا بدأ تجربته الثانية بكل لهفة وثقة ..

وزاد الدكتور (رائف) فى شدّة الموجات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واسترخى جسده ..

واسترخى ..

واسترخى ..

ثم راحت تلك الطاقة تتدفّق إلى عقله ..

وعروقه ..

وأعصابه ..

وكيانه كله ..

طاقة هادئة ..

ناعمة ..

صافية ..

قوية ..

وسرت النشوة فى كل خلية من خلاياه ، و ...
وفجأة ، قفز كيانه كله إلى عالم آخر .
عالم رهيب ..
مخيف ..
لم يفتح عينيه ..
إنه واثق مائة فى المائة من أنه لم يفعل ..
ولكنه رآه أمامه ..
وبمنتهى الوضوح .
شمس حمراء هائلة ، ككتلة من الدم ، تسبح فى سماء سوداء مخيفة ..
ونيران تشتعل فى كل مكان ..
وبراكين ثائرة ..
وحمم متدفقة ..
ودخان أسود ..
ومستنقعات تغلى بفقاقيع زرقاء ..
ثم برز ذلك الشىء ..
كائن رهيب ..
رهيب ..
رهيب ..

كتلة من السواد ، لها أطراف قصيرة ، وعينان ضخمتان ، تشملان ثلثها العلوى كله ..
وفى بطء مخيف ، راحت تتجه نحوه ..
كانت تراه ..
لا ريب فى أنها كانت كذلك ..
عيناها الضخمتان كانتا تحدقان فيه مباشرة ..
وعلى الرغم من الرعب الهائل ، الذى سرى فى كيانه ، فقد تجمّد فى مكانه ، وراح يحدّق فى ذلك الكائن وهو يقترب ..
ويقترب ..
ويقترب ..
ثم حدث الاتصال ..
فجأة ، التقط عقله رسالة ..
رسالة مختصرة ..
قوية ..
واضحة ..
رسالة تحمل كلمة واحدة ..
الموت ..

وانتفض جسده فى عنف ..
وراح ينتفض ..
وينتفض ..
وينتفض ..
ثم صرخ ..
أخيرًا ، أمكنه أن يصرخ ..
انتزع نفسه من جموده ورعبه ..
وصرخ ..
ومع صرخته ، اندفع ذلك الكائن الرهيب نحوه .
وانتفض جسده أكثر ..
وأكثر ..
ثم اختفى ذلك العالم بغتة ..
وأظلمت الدنيا كلها ..
لم يدر كم أظلمت ..
ولا كم بقى فاقد الوعى ..

ولكنه استيقظ فجأة ، ليجد نفسه راقدًا على فراشه ، والدكتور (رائف) يتطلّع إليه فى قلق شديد ..

و(كاظم) يقف صامتًا كعادته ، عند ركن الحجرة ..
وعندئذ .. عندئذ فقط ، أدرك أنه قد عاد إلى عالمه .. وواقعه ..
ومنذ تلك اللحظة ، أدرك أن عقله لم يعد كما كان ..
لقد قرأ أفكار الدكتور (رائف) فى وضوح ..
رأى كل ما يفكّر فيه ويشعر به العالم ..
وأدرك كم هو قلق بشأنه ..
وكم يعنيه أمره ..
وشعر بالقوة ..
وأحبّها ..
وأدمنها ..
ولكنه لم ينس قط ذلك العالم الرهيب ..
ولا ذلك المخلوق المخيف ..
المخلوق ، الذى لم يرو قصته لأى شخص .. مطلقًا ..

سرت فى جسده قشعريرة ، عندما سطع البرق فى السماء ، وقفز من فراشه ، هاتفًا :

ـ يا لله ...

لم يتمّ هتافه ، ولكنه اندفع نحو النافذة فى حنق ، ليغلق حاجزها الخشبى ، و ...

وفجأة ، توقّف أمامها ، وانعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يتطلّع إلى تلك الأعمدة المحيطة بالفيلا ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ظلّ يتطلّع إليها بضع لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ـ أى عبث سخيف هذا .

قالها ، وجذب معطفًا من معاطف المطر من دولابه ، وارتداه فى توتر ، وهو يهبط فى درجات السلم ، من الطابق الثانى ، ويعبر ممرًا قصيرًا ، ثم يفتح باب المنزل ..

كانت الأمطار تهطل فى غزارة ، والفناء مغمور بالمياه ، على نحو لم يعهده قط من قبل ، وعلى الرغم من هذا ، فقد التقط مظلة جلدية ، وفتحها فوق رأسه ، ثم غادر المنزل ، متجهًا نحو تلك الأعمدة ..

ومن المؤكّد أنه لم يشهد فى حياته كلها طقسًا كهذا ..

لقد كان يبذل جهدًا رهيبًا ، لمقاومة الرياح ، والتشبث بمظلته ، والأمطار تنهمر فى غزارة مخيفة ، وقدماه تغوصان فى المياه ..

وتغوصان ..

وتغوصان ..

حتى بلغ تلك الأعمدة ..

ولثوان ، وقف يتطلّع إليها ، فى شك وحذر ..

وتساءل عما يعنيه تألّق رءوسها المستديرة ..

وفى حذر ، مدّ أصابعه نحوها ..

وتردّد لحظة ، وهو يتساءل :

ـ تُرى ماذا يمكن أن يحدث ، لو لمسها ؟!

هل تحمل طاقة ما ؟!

أم أنها أحد أجهزة الرصد ..

كلاّ .. مستحيل ! إنها ليست كذلك حتمًا .

لو أن الدكتور (رالف) يرغب فى زرع أجهزة رصد ، لعلم بالأمر حتمًا ..

ولو أنه حتى يعلم به ، لما خفى أمره عنه ..
ما هذه الأعمدة إذن ؟!
من زرعها ..
ولماذا ؟!

استمرّ تردُّده لحظة أخرى ، ثم حسم أمره ، ودفع أصابعه إلى الأمام ..
ولمس أحد الرءوس المستديرة ..
ولم يكد يفعل ، حتى انتفض جسده كله فى عنف ..
واتسعت عيناه عن آخرهما ..
ثم أطلق صرخة رهيبة ..

ومع الصرخة ، اندفع جسده إلى الخلف فى عنف ، وكأنما أصابته صاعقة عنيفة ..
ليست صاعقة واحدة ..
بل ألف صاعقة ..

وبمنتهى العنف ، ارتطم جسده بأرضية الفناء ، الغارقة فى المياه ..
وطارت المظلة من يده ..

وراح يتدحرج ..
ويتدحرج ..
ويتدحرج ..
ثم ارتطم بسلم الفيلا ..
ومع ارتطامه ، أطلق صرخة أخرى ..
ثم أظلمت الدنيا أمامه تمامًا ..
وفقد الوعى ..
ولثوان ، ظلّ جسده ملقى فى سكون ، على سلم الفيلا ..
ثم فجأة ، بدأ شىء ما يتحرك داخله ..
أو بمعنى أدق ، ينفذ من خلاله ..
ويعبر خلاياه ..
ويتجاوز كيانه ..
وما هى إلا ثوان معدودة ، حتى بدأ ذلك الشىء يتضح ..
كيان أسود ..
له عينان كبيرتان ..
تحتلان ثلثه العلوى بأكمله ..

كائن رهيب ..

رهيب ..

رهيب ..

* * *

ارتدت (مشيرة) معطفها المنزلى ، وهى تهرع نحو الباب ، فى الرابعة صباحًا ، وقلبها يخفق فى عنف ، وضغطت زر جهاز الرؤية الداخلى ، وهى تتساءل فى توتر شديد :

ـ تُرى من يأتى ، فى هذه الساعة ؟!

لم تكد تنهى عبارتها ، حتى ارتسمت صورة مألوفة على شاشة جهاز الرؤية ، فاتسعت عيناها ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ (نشوى) .

قالتها ، وأسرعت تفتح الباب ، مكرِّرة :

ـ (نشوى) .. ماذا أصابك ؟!

كانت تبدو شاحبة ، ممتقعة ، والمياه تغمرها على نحو عجيب ، وكأنما خرجت على الفور من أعماق بحر عميق ، وهى تقول فى إحباط شديد :

ـ معذرة لقدومى فى هذه الساعة ، ولكن ..

جذبتها (مشيرة) ، قبل أن تتمّ عبارتها ، قائلة :

ـ أنت على الرحب والسعة دائمًا .. ادخلى يا (نشوى) .

وأغلقت الباب خلفها ، مستطردة :

ـ ربّاه ! أنت بحاجة إلى ثياب جافة ، وفنجان من القهوة .

غمغمت (نشوى) فى إرهاق شديد :

ـ بالتأكيد .

أسرعت (مشيرة) تحضر لها الثياب الجافة ، وتركتها تستبدلها بثيابها المبتلّة ، فى حين أعدّت هى فنجان القهوة ، وعادت به إليها ، وهى تسألها ، فى قلق شديد :

ـ ماذا أصابك ؟! هل (سلوى) بخير ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ إنها غارقة فى نوم عميق ، بعد كل ما واجهته الليلة .

سألتها (مشيرة) :

- ماذا بك إذن ؟!

زفرت (نشوى) فى مرارة ، وحاولت أن تتماسك ، إلا أنها وجدت نفسها تنفجر فجأة باكية فى حرارة ، فهتفت (مشيرة) فى جزع :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ثم احتوتها بين ذراعيها ، مستطردة :

- أخبرينى ماذا حدث .. أفرغى آلامك كلها فى أذنىّ .. هيا .. أنت بحاجة إلى هذا .

بكت (نشوى) على كتفها ، فى حرارة شديدة ، وأفرغت لترًا من الدموع ، قبل أن تقول :

- أبى يا (مشيرة) .. أبى وزوجى وزوجك .

اتسعت عينا (مشيرة) فى ارتياع ، وهى تهتف :

- هل .. هل أصابهم مكروه ؟!

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

- لست أدرى ، ولكننى أخشى هذا .

اتسعت عينا (مشيرة) فى رعب ، وهى تحدّق فيها ، ثم لم تلبث أن أمسكت كتفيها فى قوة ، وهى تقول فى عصبية :

- (نشوى) .. ليس بإمكانى الانتظار لحظة واحدة أخرى .. هيا .. أخبرينى كل ما لديك .

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، ومسحت دموعها ، مغمغمة :

- سأخبرك .

وراحت تروى لها كل شىء .

منذ بدأت مخاوفها ..

وحتى تلك اللحظة ..

باستثناء تفاصيل حديثها مع الدكتور (جلال) والقائد الأعلى ..

حتى فى ذروة حزنها وذعرها ومخاوفها ، كانت تدرك ما ينبغى ، وما لا ينبغى قوله ..

مهما كانت الظروف ..

وفى توتر بلا حدود ، استمعت إليها (مشيرة) .. ولم تقاطعها بحرف واحد ..

وما إن انتهت من روايتها ، حتى هتفت (مشيرة) :

ـ رباه ! أنت على حق فى مخاوفك بالتأكيد .. ربما لا يكون هناك دليل ما ، ولكننا نساء ، وندرك جيدًا ما تعنيه غريزة الأنثى وحاستها السادسة .

قالت (نشوى) فى مرارة :

ـ وحتى لو كنا نعلم .. ماذا يمكننا أن نفعل .. الأمطار الغزيرة أغلقت الطرق المؤدية إلى الفيلا ، ووسائل الطيران لن تغامر بالخروج ، فى طقس كهذا .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ هناك وسيلة ما حتمًا .. لا يمكن أن تكون الطرق كلها مغلقة على هذا النحو .

لوّحت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ هذا ما حدث .

مطّت (مشيرة) شفتيها ، وراحت تسير فى المكان فى عصبية بالغة ، وهى تقول :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما .. فى الصحافة لا نعترف أبدًا بأنه لا توجد وسيلة ، لبلوغ شىء ما ، أو مكان ما ..

إننا أكثر من يؤمن بنظرية (نابليون بونابرت) ، بأنه لا يوجد مستحيل .. هناك حتمًا وسيلة ما ، لفعل أى شىء فى الوجود ، مهما بدا منيعًا مستحيلاً .

زفرت (نشوى) فى مرارة ، مغمغمة :

ـ الفيلا محاصرة تمامًا ، بالبحر من ثلاثة جوانب ، والسيول من الجانب الرابع ..

توقّفت (مشيرة) ، تسألها :

ـ البحر من ثلاثة جوانب ؟! كيف ؟!

أجابتها ملوّحة بيدها :

ـ إنها مقامة على لسان داخل البحر(*) ..

التقى حاجبا (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ آه .. لسان .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى انفجر (محمود) الصغير باكيًا فى الداخل ، فهبّت إليه (نشوى) ، هاتفة :

(*) اللسان : اسم يطلق على قطعة من الأرض ، تحيط بها المياه من ثلاثة جوانب ، وتتصل باليابسة من الجانب الرابع ، على عكس الخليج الذى هو امتداد للبحر ، تحيط به اليابسة من ثلاثة جوانب .

- يا إلهى ! كيف أنسانى كل هذا إياك يا صغيرى ؟!

احتوته فى حنان ، وراحت تربّت عليه ، حتى هدأ ، وبدأ يسبل جفنيه فى تراخ ، فدلفت (مشيرة) ، إلى الحجرة ، وتطلّعت إليهما بعض الوقت ، قبل أن تتساءل فى خفوت :

- هل نام ؟!

همست (نشوى) :

- إنه فى سبيله إلى هذا .

تنهّدت (مشيرة) ، وهزّت رأسها بلا معنى ، ثم غادرت الحجرة ، وراحت تسير فى الصالة ، وهى تفكّر فى عمق :

- هناك حتمًا وسيلة ما ..

إنها تؤمن بهذا المبدأ طيلة عمرها ..

لا يوجد هدف يستحيل الوصول إليه ..

مهما بدت الأمور عسيرة ..

ومعقّدة ..

ومستحيلة ..

كل ما فى الأمر أنه ينبغى دراسة كل التفاصيل ..

مهما بلغت بساطتها ..

أو دقتها ..

وستظهر حتمًا وسيلة ..

أو ثغرة ..

أى شىء يمكن النفاذ منه إلى الهدف ..

أى شىء ..

عادت (نشوى) إليها ، فى تلك اللحظة ، فسألتها :

- هل نام ؟

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، فتنهّدت (مشيرة) ، مغمغمة :

- تُرى ما الذى أيقظه ؟!

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تجيب :

- كان مبتلاً .

مطّت (مشيرة) شفتيها ، قائلة :

- ربما شعر بما أصاب أمه .. لقد بدوت عند وصولك ، وكأنك خارجة من البحر على الفور .

هزّت (نشوى) رأسها ، وهى تقول :

ـ لا يمكنك أن تتصورّى رداءة الطقس فى الخارج .. الأمطار تنهمر منذ أكثر من سبع ساعات بلا انقطاع ، وبغزارة شديدة ، على نحو لم أشهده من قبل قط .

غمغمت (مشيرة) :

ـ حتى الطبيعة تغيّرت .

وافقتها (نشوى) بإيماءة من رأسها ، متمتمة :

ـ صارت أكثر قسوة .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :

ـ هل تعلمين أن الماء يغمر كل شىء فى الخارج .

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ لقد شاهدت هذا فى نشرة الأخبار المسائية .

ولوّحت بيدها ، مستطردة :

ـ كانت المياه تغمر الشوارع ، والسيارات غارقة ، وكأنها ..

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها ، وهى تقفز من مكانها ، هاتفة :

ـ ربّاه !

سألتها (نشوى) فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

أمسكت كتفيها فى قوة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ لقد وجدت الوسيلة .. وسيلة بلوغ فيلا الدكتور (رالف) هذا .

هتفت بها (نشوى) :

ـ ما هى ؟! أخبرينى بالله عليك .

وأخبرتها (مشيرة) ..

واتسعت عينا (نشوى) فى دهشة وانبهار ..

فالفكرة كانت ، على الرغم من بساطتها مدهشة .. مدهشة بالفعل ..

* * *



٩ ـ القـــادم ..

« استعد يا سيّد (رمزى) .. »

سرت ارتجافة فى جسد (رمزى) ، عندما نطق الدكتور (رالف) العبارة ، وشعر بحلقه يجف ، وبقلبه يخفق فى سرعة ، وهو يجلس على مقعد (مايند ريليزر) ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، أومأ برأسه إيجابًا ، وتمتم :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، شفّت عن كل ما تموج به أعماقهما ، من قلق وشك وحيرة ، وألقى الأخير نظرة على الحارس الضخم (كاظم) ، الذى راح يتابع المؤشرات فى جمود مستفز ، ووجد نفسه يتساءل فى هلع :

ـ تُرى هل سيصلح للمهمة ؟!

هل سيؤدّى ما ينبغى له أن يؤديه بالكفاءة المطلوبة ؟!

وفى الوقت المناسب ؟!

أم أنه سيفسد العملية كلها ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، عندما جال بذهنه ذلك الخاطر الأخير ، ووجد نفسه يتحسّس مسدسه بحركة غريزية ، وهو يتمتم :

ـ لو تسببت فى مس شعرة واحدة من رأس (رمزى) أيها الغوريلا ، فسوف ...

أشار إليه (نور) أن يصمت ، فمطّ شفتيه فى حنق ، وأضاف فى عناد :

ـ أمزّقك إربًا .

ثم عاد يدير عينيه إلى (رمزى) ، والدكتور (رالف) يقول :

ـ لن نقفز إلى الموجة القصوى دفعة واحدة .. سنبدأ رويدًا رويدًا ، بتدريج هادئ ، حتى يتمّ الاتصال .

سأله (أكرم) :

- وكيف ستعلم هذا ؟!

أشار إلى أجهزته ، مجيبًا فى بساطة :

- المؤشرات ستخبرنى .

هزّ (أكرم) كتفيه ، ومطّ شفتيه ، وكأنما لم يقنعه هذا ، فى حين تابع الدكتور (رالف) ، دون أن ينتبه إليه :

- مع حدوث الاتصال ، سأبدأ فى زيادة الموجة ، وسيعتمد مقدار الزيادة على انفعالاتك ، وما ستسجله إشارات مخك .

قال (رمزى) فى توتر :

- المهم أن تتذكّر أنها الرابعة وعشر دقائق الآن ، والفجر سيأتى بعد خمس وعشرين دقيقة فحسب .

أجابه الرجل :

- اطمئن .. إنها تكفى .

ثم بدأ يضرب أزرار الكمبيوتر ، مستطردًا :

- المهم أن تسترخى تمامًا .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وأرجع رأسه إلى الخلف ، وحاول أن يسترخى بقدر الإمكان ..

وفى توتر بالغ ، تابعه (أكرم) ببصره ، وهو يتمتم :

- أتعشّم أن يمضى الأمر بسلام هذه المرة .

سمع (نور) عبارته جيدًا ..

ولكنه لم يعلّق ..

لم ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع كل شىء فى اهتمام وتوتر بالغين ..

فمن بين الجميع ، كان أكثرهم قلقًا ..

هذا لأن عقله لم يهدأ لحظة واحدة ، منذ بدأ هذا الأمر ..

وخاصة خلال الساعات القليلة الماضية ..

وله أسبابه ..

فعندما وصل إلى فيلا الدكتور (رالف) ، مع (أكرم) و (رمزى) ، لم تكن لديه ذرة واحدة من الشك ،

فى أن ما يواجهه (رمزى) هو اتصال عقلى حقيقى ، بينه وبين (محمود) ..

وكانت كل ذرة فى كيانه تأمل أن يجد الحل هنا ..

عند الدكتور (رائف عبيد) ..

كل لمحة من عمره ، كانت تتمنى أن تحدث المعجزة ..

وأن يعود (محمود) ..

وعندما خضع (رمزى) للمحاولة الأولى ، كانت أحلامه فى ذروتها ..

ثم حدث ما حدث ..

وتعرّض (رمزى) لكل ما أصابه ..

وفقد الوعى ..

ومنذ ذلك الحين ، اخترقت ثقته لمحة حادة من الشك ..

والحيرة ..

والقلق ..

شىء ما فيما حدث ، فجّر فى أعماقه كل هذا ..

شىء جعله يشعر بأن الأمور ليست على ما يُرام ..

ربما هو غموض المكان ..

أو أفراده ..

أو عصبية (فيليب) الزائدة ، وإصراره على عدم إجراء المحاولة ..

أو هو ما رواه (رمزى) عن لقائه بـ (محمود) ..

أو حديثهما ..

ربما أحد هذه الأشياء ..

أو مزيج منها جميعًا ..

المهم أنه فى النهاية ، لم يعد يشعر بالارتياح قط ..

بل وربما لا يرغب فى الاعتراف بأنه لم يعد يريد للتجربة أن تتم ..

ذلك الشىء جعله يشعر ، فى أعماق عقله الباطن ، أنها لن تحمل لهم الخير أبدًا ..

لن تعيد (محمود) ..

هذا لو أنه بإمكانها هذا ..

ولكن كيف يمكن أن يرفض إتمامها ؟!

كيف يمكن أن يتجاهل فرصة نادرة ، قد تتحقق معها المعجزة ؟!

لم يكن هذا بمقدوره قط ..

لم يكن ليغفر لنفسه أبدًا ، لو أن قراره هذا قد أضاع الفرصة ..

الفرصة الأخيرة ..

لذا ، فقد قاوم كل ما يشعر به ..

ودفن مشاعره فى أعماقه ..

واتخذ قراره بشكل عملى تمامًا ..

ولكن لماذا لا يشعر بالارتياح ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« سنبدأ يا سيد (رمزى) .. »

انتزعته عبارة الدكتور (رائف) من أفكاره ، فشدّ قامته ، وانعقد حاجباه ، ودفن قلقه ومخاوفه فى أعماقه ..

أو هكذا حاول ..

ثم وقف يتابع ..

بمنتهى الاهتمام ..

والترقُّب ..

وبدأت الخوذة تتألَّق ..

وتتألَّق ..

وشعر (رمزى) بالطاقة تتدفَّق فى رأسه ..

وعقله ..

وكيانه كله ..

وعلى الرغم من كل انفعالاته ، راح جسده يسترخى ..

ويسترخى ..

ويسترخى ..

ثم بدأ العالم المحيط به يتلاشى فى بطء ..

وراحت معالم العالم الآخر تتضح ..

الرمال الفيروزية الباردة ..

السماء الوردية ..

والشموس الأربع ..

وخفق قلبه فى عنف ..

لقد تباعدت عن بعضها كثيرًا ..

الزرقاء والرمادية صارتا عند أقصى مدى الرؤية من الجانبين ..

والأرجوانية ارتفعت كثيرًا ..

والصفراء انخفضت حتى الأفق ..

وتكاد تختفى هناك ..

وبكل قلقه وتوتره ، هتف (رمزى) :

- (محمود) .. لقد عدت من أجلك .. أين أنت ؟!

لم يتلقَ جوابًا ، فهتف بقلق شديد :

- أين أنت يا صديقى ؟!

كم تمنى لحظتها أن يزيد الدكتور (رائف) من قوة موجاته ..

إلى أقصى حد ..

كم تمنى لو ضاعفها مرات ومرات ..

حتى يتمّ الاتصال ..

لماذا وافقه على عدم زيادتها ، إلا بعد حدوثه بالفعل ؟!

لماذ لم يخطر بباله عندئذ أن الاتصال لن يتم بدونها ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ومرة ثالثة ، هتف :

- أرجوك يا صديقى .. لقد عدت من أجلك .. لا تخذلنى هذه المرة .. لن تكون هناك فرصة أخرى ..

« الاتصال لم يحدث بعد .. »

نطق (نور) العبارة وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والثلث ، فالتفت إليه الدكتور (رائف) ، قائلاً فى دهشة :

- لهجتك توحى بأنك سعيد لعدم حدوثه .

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى حزم :

- دعك من مشاعرى يا دكتور (رائف) .. المهم أن تمضى الأمور كالمقدّر لها ..

أجاله العالم فى توتر :

- لا أحد يدرى ما المقدّر له .. إننا نمضى دومًا فى دروب اخترناها بأنفسنا ، ونتصوّر أحيانًا أن الخير ،

كل الخير ، ينتظرنا فى نهايتها ، ولا أحد يدرى إلى أى شىء ستقوده بالفعل .. إلى النعيم ، أم إلى الجحيم ؟!

فجّرت عبارته مخاوف (نور) أكثر وأكثر ، فتمتم فى توتر :

ـ لا أحد يمكنه الفرار من قدره .

رمقه الدكتور (رائف) بنظرة سريعة ، قبل أن يسأله :

ـ تعتقد أن الإنسان مسيّر إذن ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ إنها قضية طويلة وكبيرة يا دكتور (رائف) .. اختلف حولها الأئمة والفقهاء والعلماء والمفكرون .

قال الرجل ، وهو يتفحّصه فى اهتمام :

ـ ولكن أمثالك تكون لهم آراؤهم الخاصة بالتأكيد .

غمغم (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى .

سأله فى شغف عجيب :

ـ أخبرنى ما رأيك إذن .. هل تعتقد أن الإنسان مسيّر ، أم مخيّر ؟!

أجابه (نور) ، فى سرعة وحزم :

ـ من المؤكد أنه مخيّر ، فى كل ما يُجازى عليه ، بالثواب أو العقاب ، فلو لم يكن حرًا فى اختيار طريقه وموقفه ، لما استحق ثوابًا أو عقابًا ، وهو فى الوقت ذاته مسيّر ، فى كل ما لا يملك من أمره شيئًا ، كقدره ، ومستقبله ، وعمره ، ومصيره ، و ...

قاطعهما (أكرم) فى عصبية :

ـ معذرة لقطع حديثكما الشيّق هذا ، ولكن هل تبدو لكم الدقائق القليلة المتبقية ، قبل مطلع الفجر ، مناسبة لإضاعتها فى مناقشة فلسفية كهذه ، و(رمزى) يجازف بحياته كلها ؛ لإتمام اتصال ناجح واحد مع (محمود) ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وأدرك أن (أكرم) على حق تمامًا ..

لماذا تورّط فى هذه المناقشة الفلسفية ؟!

تُرى هل تعمّد هذا ، دون أن يدرى ، لإضاعة وقت الاتصال ؟!

هل ؟!

طرد الفكرة من ذهنه فى سرعة ، وراح يتابع الدكتور (رائف) ، وهو يزيد قوة الموجة رويدًا رويدًا ، و ...

« هأنذا يا (رمزى) .. »

انتفض جسد (رمزى) فى انفعال ، عندما سمع الصوت من خلفه ، فالتفت إلى مصدره فى سرعة ، هاتفًا :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

كان (محمود) يبدو واضحًا أكثر من ذى قبل ، وهو يتجه نحوه ، فوق الرمال الفيروزية الباردة ، ويبتسم ، قائلاً :

ـ كنت واثقًا من أنك ستعود .

« الاتصال تم ... »

نطقها الدكتور (رائف) ، وهو يزيد شدّة الموجات أكثر وأكثر ، فى حين خفق قلب (نور) فى قوة ، وتضاعفت فى أعماقه موجة الشك والقلق ..

تضاعفت ألف مرة ..

« من الواضح أن الاتصال قوى هذه المرة .. »

قالها (رمزى) فى سعادة ، وهو يتابع (محمود) ، الذى بدا واضحًا للغاية ، وهو يقترب منه أكثر وأكثر ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى .. فشلكم فى الاتصال بى ، فى المرة السابقة ، كان دافعًا منطقيًا لزيادة قوة الاتصال هذه المرة ..

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن الفرصة لم تضع بعد ؟!

أجابه (محمود) فى هدوء ، وهو يقترب أكثر :

ـ الفرصة لم تضع أبدًا .

سأله فى لهفة أكثر :

ـ هل يمكنك العودة إلى عالمنا إذن ؟!

قال فى سخرية عجيبة :

ـ العودة ؟! آه .. بالتأكيد .

ثم أضاف ، وهو يميل نحوه :



قالها (رمزى) فى سعادة وهو يتابع (محمود) ، الذى بدا واضحًا للغاية ، وهو يقترب منه أكثر وأكثر ..

- من خلال عقلك أنت .

ومع ميله ، اقترب وجهه من وجه (رمزى) أكثر ..

وبدت ملامحه أكثر وضوحًا ..

وتراجع (رمزى) ، هاتفًا :

- ربّاه ! إنك ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع (محمود) نحوه ..

وكما حدث فى المرة السابقة ، اخترق كيانه كله ..

وانتفض جسد (رمزى) فى عنف ..

وأطلق صرخة ألم هائلة ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، قفزت المؤشرات إلى الذروة ، وصاح الدكتور (رائف) ، وهو يتراجع مذعورًا :

- ربّاه ! ليس مرة أخرى .

تحرّك (كاظم) فى بطء ، متجهًا نحو الجهاز ، ولكن (نور) سبقه إليه ، وهو يثب نحو مصدر الطاقة ، هاتفًا :

- البرنامج يا (أكرم) .. أوقف البرنامج .

كانت يده تندفع نحو المصدر ، عندما حدثت تلك الفرقعة بغتة ..

فرقعة عنيفة قوية ، تردد دويها فى المعمل كله ..

ثم انبعث دخان كثيف من الخوذة ..

وشهق (أكرم) هاتفًا :

- ربّاه ! ماذ يحدث ؟!

وعلى الرغم من ذعره وذهوله ، واصل (نور) اندفاعه ، وأغلق مصدر الطاقة ..

ولكن الدخان الكثيف لم يتوقَّف ..

(رمزى) انهار على مقعده تمامًا ، كما لو أنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، فى حين تكثَّف الدخان أكثر وأكثر ، وهو يتجمَّع فى منتصف المعمل تمامًا ..

واتسعت عيون الجميع ، وهم يحدقون فيه ..

ثم راح الدخان يتخذ هيئة آدمية مألوفة ..

وبكل لهفة الدنيا ، هتف (أكرم) :

- (محمود) ؟!

ولكن الصورة راحت تتضح أكثر وأكثر ..

وبسرعة مدهشة ..

واتسعت عينا الدكتور (رانف) عن آخرهما ، وهو يدفع مقعده المتحرك إلى الخلف فى عنف ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدّة ، فى حين انطلقت من حلق (أكرم) شهقة قوية ، وارتدّ كمن تلقّى صاعقة ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

فذلك الذى بدا لهم وكأنه زميلهم السابق (محمود) ، كان فى الواقع كائنًا آخر تمامًا ..

كائنًا مخيفًا رهيبًا ..

رهيبًا ..

رهيبًا ..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(القوة)